إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

تشكل الأسلوب البلاغي للمثل القرآني والعربي

دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية

بقلم
د. علي زواري أحمد
قسم الحضارة الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر

تشكل الأسلوب البلاغي للمثل القرآني والعربي

د. علي زواري أحمد

Publications of Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

Formation of the rhetorical style of the Qur'anic and Arabic proverb

A rhetorical and stylistic analytical study

tushakil al'uslub albalaghiu lilmuthal alquranii walearabii

Written by
Dr. Ali Zouari Ahmed
Department of Islamic Civilization
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

ISBN: 978-9969-574-26-5
سامي للطباعة والنشر والتوزيع

إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي

تشكّل الأسلوب البلاغي للمثل القرآني والعربي

ـ دراسة تحليليّة بلاغيّة وأسلوبيّة ـ

كتاب علميّ يدخل ضمن تخصّص اللّغة العربيّة والدّراسات القرآنيّة

د/ علي زواري أحمد
قسم الحضارة الإسلامية – كلية العلوم الإسلامية
جامعة الوادي – الجزائر

سامي
للنشر والطباعة والتوزيع

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria
مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780400
الموقع الإلكتروني: https://faculty.univ-eloued.dz/faculty/isi/laboratory/6

- الطبعة الأولى: 1446هـ / 2024م
- رقم الإيداع القانوني: ديسمبر 2024
- ردمك: 978-9969-574-26-5
- عدد الصفحات: 182.
- المقاس: 16.5 × 24 سم.

© محفوظة جميع الحقوق

- التنفيذ الطباعي:

سامي للنشر والطباعة والتوزيع
ولاية الوادي . الجزائر
032 14 93 39
0557 97 44 43
imp.alwady@gmail.com

مقدّمة

يعتبر المثل من أهمّ الفنون الأدبيّة التي أخذت حيّزا معتبرا في بنية النّصّ القرآني الكريم، وقد ساهم مساهمة فعّالة في تبليغ الخطاب الإلهيّ للنّاس، بل عدّه المهتمّون بالدّراسات القرآنيّة من الأساليب المتميّزة التي خاطب بها القرآن المتلقّين، وعليه أدّت الأمثال القرآنيّة نوعا من الحركيّة في الأساليب العربيّة المتّبعة في ضرب الأمثال لما تميّزت به من خصائص فنيّة وبنية سرديّة وأسلوب متجانس يختلف في جوهره وشكله ومضربه عن سائر الأمثال المعهودة عند العرب، وبهذا شكّل المثل القرآنيّ حقلا خاصّا من حقول الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة فأعطاه الدّارسون لفتة معتبرة ضمن الدّراسات القرآنيّة المختلفة.

وقد لاحظت من تتبّعي لهذه الدّراسات أنّ ثمّة اعتناء كبيرا بالأمثال القرآنيّة الظّاهرة، ولكن ارتكزت الجهود في جوانب مختلفة لغويّة وغيرها في حين نلحظ ندرة الدّراسات في دراسة تشكّل الأسلوب البلاغيّ لهذا النّوع من الأمثال الذي يجمع كلّ الأمثال الموجودة في القرآن الكريم ويقوم بعملية استقراء وتتبّع لهذا التّنوع في الأسلوب البلاغيّ وأثره في أداء الأغراض البلاغيّة المرادة منه، وقيمته الأسلوبيّة كإجراء أدائيّ من الإجراءات الأسلوبيّة التي اعتمدها القرآن الكريم في خطابه للنّاس.

كما لاحظت من تتبّعي لهذه الدّراسات أنّ ثمّة ندرة في دراسة الأمثال الكامنة؛ بل يمكن القول – غير مبالغين – أنّ هذا النّوع من الأمثال يكاد تنعدم فيه الدّراسات، فكلّ ما فيها جمعها أو التّطرّق لبعضها أثناء مقارنة في جزئيّة ما في قضية أخرى، ولكن لا توجد فيها أي دراسة من الدّراسات في حدود بحثي المتواضع، ولذا اخترتها لتكون ضمن مادّة هذا الكتاب، وخصّصت الدّراسة فيها كذلك لتشكّل الأسلوب البلاغيّ.

وللمقاربة بين تشكّل الأسلوب البلاغيّ للأمثال القرآنيّة والعربيّة، فيمكن القول أنّ الأمثال العربيّة كثيرة؛ منها القديم ومنها الحديث، وهي صنوف وأنواع، أشهرها وأكثرها شيوعا هو المثل السّائر الذي تدور حوله دراستنا.

وقد تعلّقت هذه الأمثال العربيّة بنواحي كثيرة من حياة الإنسان العربيّ، حيث شكّلت فنّا مستقلّا من فنون الأدب العربيّ، ولذا امتدّت مكانا حتّى غطّت جلّ المناطق العربيّة – إن لم نقل كلّها – وامتدّت زمانا حتّى استغرقت مختلف العصور، من العصر الجاهليّ وإلى اليوم، ولهذا لقيت اعتناء من قبل المؤلّفين والدّارسين – من القدامى والمحدثين – جمعا ودراسة.

وفكرة كتابنا تندرج ضمن تلك الدّراسات، حيث تغطّي جانبًا من جوانب البحث في الأمثال، فهي خلاصة لعصارة جهد على هامش دراستنا للأمثال القرآنيّة والعربيّة في أطروحتنا للدّكتوراه، والموسومة بـ: "المثل في الخطاب القرآنيّ واللّسان العربيّ الفصيح، مقاربة في البنيّة والأسلوب"[1].

فعلى هامش الدّراسة الأسلوبيّة لبنية المثلين القرآنيّ والعربيّ والتي شملت الجانب الصّوتيّ والتّركيبيّ والدّلاليّ، كان الجانب البلاغيّ حاضرا في معظم أجزاء الدّراسة التّحليليّة لتلك الأمثال حتّى تشكّلت منه مادّة علميّة معتبرة موازية لمادّة الأطروحة وتقاربها حجما تقريبا، وبما أنّها لا تتعلّق بإشكاليّة الأطروحة فقد جاءت الفكرة لجمعها وترتيبها وتنقيحها لتكون عملا مكمّلا ومستقلا عن الأطروحة، وتكون نواة لمشروع كتاب مستقل.

ولكن قبل الشروع في الكتاب طرحتها على شكل مقالات منفصلة، كان الأوّل منها تحت عنوان: "التّشكّل الأسلوبيّ للمثل القرآنيّ الظّاهر، دراسة تحليلية

---

1 – المؤلف: المثل في الخطاب القرآني واللسان العربي الفصيح "مقاربة في البنية والأسلوب"، أطروحة قدمتها لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، تخصص البلاغة والأسلوبية، تحت إشراف، أ.د: أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، السنة الجامعية: 2019/2018.

بلاغية وأسلوبيّة"[1]، وأمّا المقال الثّاني فتحت عنوان: "التّشكّل الأسلوبيّ للمثل القرآنيّ الكامن، دراسة تحليليّة بلاغيّة وأسلوبيّة"[2].

والمقال الثّالث والأخير كان على نفس المنوال، بعنوان: "التّشكّل الأسلوبيّ للمثل العربيّ السّائر، دراسة تحليليّة بلاغيّة وأسلوبيّة"[3]. فهي كلّها دراسة للأساليب البلاغيّة المشكّلة لبنية الأمثال محلّ الدّراسة، ويتخلّلها بيان الأغراض البلاغيّة المرادة منها، مع تجلية بعض الإجراءات والقيم الأسلوبيّة لتلك الأساليب البلاغية...

ولهذا تبرز إشكاليّة هذه الدّراسة في مدى التّنوع الحاصل في أسلوب هذا النّوع من الأمثال، وبيان أهمّ الإجراءات الأسلوبيّة التي أنتجها هذا التّشكّل في بنية المثل القرآنيّ والعربيّ، والأغراض التي رمى إليها من خلال هذا التّشكّل.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفيّ التّحليليّ، والمنهج الاستقرائيّ الذي من خلاله تمكّنت من تصنيف المادّة وإحصاء كلّ صنف فيها ثمّ دراستها وتحليلها، وبهذا طرحت الموضوع في خمسة عناصر رئيسيّة تجمع مجموعة من التّفريعات، وهذه العناصر، هي:

أوّلا – مدخل تعريفيّ بالأمثال.

ثانيّا – التّعريف بالأساليب البلاغيّة.

ثالثا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل القرآنيّ الظّاهر.

---

1 – ينظر – المؤلف: التشكل الأسلوبي للمثل القرآني الظاهر _دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية، مجلة الشهاب، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، المجلد (5)، العدد: (4)، ديسمبر 2019. الصفحة 333-368، الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/104500

2 – ينظر – المؤلف: التشكل الأسلوبي للمثل القرآني الكامن _دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير، قسنطينة، المجلّد:24، عدد:50، مارس: 2020. الصفحة 44-66، الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/111626

3 – ينظر – المؤلف: التشكل الأسلوبي للمثل العربي السائر دراسة تحليلية بلاغية وأسلوبية، مجلة المدونة، كلية الآداب واللغات ـ جامعة البليدة2، المجلد 08 / العدد 03 سبتمبر 2021، ص 2253 – 2272. الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/163345

رابعا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل القرآنيّ الكامن.

خامسا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل العربيّ السّائر.

وقبل أن نبدأ في تفصيل هذه العناصر نشير إلى أنّ مادّة الأمثال المذكورة محصورة في المدوّنات التّالية:

– فيما يخصّ المثل القرآنيّ الظّاهر فقد اعتمدنا على كتاب المدهش لابن الجوزي (ت: 597ه)، فقد ذكرها جميعا. وقال: «في القرآن ثلاثة وأربعون مثلا»[1].

– وفيما يخصّ المثل القرآنيّ الكامن فقد اعتمدنا على كتاب "الأمثال الكامنة في القرآن الكريم" للحسين بن الفضل البجلي الكوفي أبو علي (ت:282ه).

– وفيما يخصّ المثل العربيّ السّائر فقد اعتمدنا على كتاب "أمثال العرب" للمفضّل بن محمّد بن يعلى بن سالم الضّبّيّ (ت: 168ه).

وفي ختام هذه المقدّمة فإنّ الكتاب يدخل ضمن الدّراسات اللّغويّة البلاغيّة التي يحتاجها الباحث في البلاغة العربيّة، وتتقاطع معها بعض مقرّرات تخصّصات العلوم الإسلاميّة في مادّة البلاغة، حيث تجد في بعضها الكلام عن الأساليب البلاغيّة وبعضها الحديث عن الأمثال.

كما أنّ مادّة هذا الكتاب يدخل ضمن تخصّص اللّغة العربيّة والدّراسات القرنيّة، فهو من جهة دراسة لأحد أهمّ الأساليب البلاغيّة في القرآن الكريم وفي لغة العرب، ومن جهة أخرى يتعلّق بالفنون البلاغيّة الموجودة في القرآن وكلام العرب، ولذا يدخل ضمن الدّراسات اللّغويّة المتعلّقة باللّسان العربي من مصدرية القرآن وكلام العرب الفصيح.

الدّكتور علي زواري أحمد

zouari-ahmed-ali@univ-eloued.dz

1 – ينظر – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597ه)، المدهش، المحقّق: الدكتور مروان قباني، الطبعة: الثانية، 1405ه – 1985م، ص: 16.

أوّلا ـ مدخل تعريفيّ بالأمثال

نتناول في هذا العنصر ما يأتي:

1 – المثل في اللّغة والاصطلاح

2 – أنواع المثل القرآنيّ

3 – أنواع المثل العربيّ

1 – الْمَثَلُ في اللّغة والاصطلاح

الأمثال كثرت حولها الدّراسات وتنوّعت واختلفت، ونالت عناية كبيرة، نظرا لشيوعها في كلّ ضرب من ضروب الحياة العربيّة، فقد تناولها أهل اللّغة من البلاغيّين والنّحويّين وأصحاب المعاجم وغيرهم، كما تناولها أصحاب الأدب في أبواب مختلفة، منها ما يختصّ بها، ومنها ما ينطوي تحت مباحث أخرى، ولم يتخلف عن ذلك المهتمّون بالدّراسات القرآنيّة من الباحثين في الإعجاز أو التّفسير أو علوم القرآن وأمثالهم .. ولم تخلو منها – أيضا – كتب الحكمة والفلسفة والطّباع، والتّاريخ والسّير، وكتب الموسوعات الثّقافيّة، ناهيك عن مصنفات الأمثال المختصّة بها، كلّ ذلك يبيّن قيمة الأمثال وأهميّتها في تراثنا العربيّ، لهذا لا غرابة عندما نجد الاختلاف البَيِّن في تحديد مفهومها من حيث اللّغة والاصطلاح، فكلّ ينظر إليها من وجهة نظر معيّنة، إمّا من حيث الأصل اللّغويّ، أو من حيث الاستعمال المجازيّ، أو الاستعمال الاصطلاحيّ، أو من حيث التّأثر بالآخر[1]، وسنقف الآن على المهمّ من المفهوم اللّغويّ والاصطلاحيّ لكلمة "الْمَثَل".

أ – المثل في اللّغة:

الْمَثَلُ مفرد، وجمعه أمثال[2]، وَ(الْمَثَلُ) ما يُضْرَبُ به من (الْأَمْثَالِ)[3]. وللفظ

---

1 – كما ذكر بعض المستشرقين من أمثال رودلف زلهايم في كتابه الأمثال العربية القديمة، بأن أصل الكلمة في العبرية masal، وفي الآرمية والسوريانية metal، وفي الحبشية mesel، وفي الأكادية meslum. ينظر- رودلف زلهايم: الأمثال العربية القديمة، مراجعة وضبط: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان، طبعة الأولى: 1391ه – 1971م، ص:21.

2 – أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424ه): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 ه – 2008 م، 3/ 2068.

3 – زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666ه): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420ه / 1999م، ص: 290.

"المَثَل" معاني مختلفة، منها ما هو قريب، وبعضها بعيد عن مفهوم الأمثال السّائد والمتبادر للذّهن، يقول محمّد توفيق في كتابة الأمثال العربيّة والعصر الجاهلي: «إنّ معنى مادّة "مثل" يتوزّع في معاجم اللّغة بين هذه المفاهيم التي يختلط فيها المحسوس والمجرد: التّسوية والمماثلة، الشّبه والنّظير، الحديث، الصّفة، الخبر، الحذو، الحجّة، النّدّ، العبرة، الآية، المقدار، القالب، الانتصاب، نصب الهدف، الفضيلة، التّصوير، الالتصاق بالأرض، الذّهاب، الزّوال، التّنكيل، العقوبة، القصاص، الجهد، الفراش، النّمط، الحجر المنقور، الوصف والإبانة»[1].

ولهذا سنكتفي بذكر المهمّ منها، وأوّل ما نبدأ به من هذه المعاني، ما يلي:

- الشَّبَه والنّظير[2]:

مأخوذ من المماثلة، أي: المشابهة. قال الرّاغب(ت: 502ه): «والمَثَل يقال على وجهين: أحدهما: بمعنى المِثْل، نحو شِبْه وشَبَه... والثّاني: عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني»[3].

وهذا المعنى من أقوى المعاني اللّغويّة؛ وأقربها للمعنى الاصطلاحي، وقد اتّفقت عليه معاجم اللّغة، جاء في مقاييس اللّغة لابن فارس (ت: 395ه) ما يوضّح هذا المعنى بجلاء من خلال تعرّضه لأصل مادّة (م ث ل)، فيقول: (مَثَلَ)

---

1 - محمد توفيق،(ت:1988)، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت، ص: 32.

2 - أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 2068. ومحمد بن علي ابن القاضي محمّد الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد 1158ه): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م، 2/ 1449.

3 - الراغب الأصفهانى أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502ه): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412ه، ص: 759.

الْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ أصل صحيح يدلّ على مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ[1].

وفي لسان العرب لابن منظور(ت: 711ه): مِثْل: كلمةُ تَسْوِيَةٍ (أي بمعنى واحد مع كلمة مَثَل)[2]. يُقَالُ: هَذَا مِثْله ومَثَله، كَمَا يُقَالُ شِبْهه وشَبَهُه بِمَعْنًى[3].

وعليه نجد هذا المعنى تكرّر تواردہ في معاجم اللّغة، القديم منها والحديث، جاء في شمس العلوم: والمَثَل: المِثْل، يقال: ما له مَثَل: أي مِثل، كما يقال: شَبَهٌ وشِبْه[4].

ومنه أُخِذَ المَثَل المضروب، يقول ابن فارس: «وَالْمَثَلُ المضروب مأخوذ من هذا، لأنّه يُذْكَرُ مُوَرًّى بِهِ عن مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى»[5].

وفي لسان العرب: والمَثَلُ: الشّيء الذي يُضرَب لشيء مِثْلًا فيجعله مِثْلَه وفي الصّحاح: مَا يُضرَب به من الأَمْثال... وَيُقَالُ: تَمَثَّلَ فلانٌ ضَرَبَ مَثَلًا، وتَمَثَّلَ بِالشَّيْءِ ضَرَبَهُ مَثَلًا. وفي التّنزيل العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾؛ وذلك أنّهم عبدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر وما لم ينزل به حجّة، فأعلم الله الجواب ممّا جعلوه له مثلا وندّا، فقال: إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا؛ يقول: كيف تكون هذه الأصنام أندادا وأمثالا لله وهي لا تخلق أضعف شيء

---

1 – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395ه): مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: 1399ه – 1979م، 5 / 296.

2 – خالفه ابن العربي (ت638ه) ففرق بينهما، ورأى أنهما متقاربتان في المعنى فالمِثْل عنده عبارة عن شبه المحسوس، والمَثَل عبارة عن شبه المعاني المعقولة، وأيده ابن أبي الإصبع (ت654ه)، والزركشي (ت794ه).

3 – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711ه): لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 ه، 11/ 610.

4 – نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: 573ه): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 ه – 1999 م، 9/ 6220.

5 – أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، 5 / 296.

ممّا خلق الله ولو اجتمعوا كلّهم له، وإن يسلبهم الذّباب الضّعيف شيئا لم يخلصوا المسلوب منه، ثمّ قال: ضعف الطّالب والمطلوب[1].

(ثمّ نقل منه إلى القول السّائر أي الفاشي الممثّل بمضربه وبمورده، والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام، وبالمضرب الحالة المشبّهة بها التي أريد بالكلام وهو من المجاز المركّب، بل لفشو استعمال المجاز المركّب بكونه على سبيل الاستعارة، سمّي بالمَثَل)[2].

وهذا من الرّوابط بين المعنى اللّغويّ والمعنى الاصطلاحيّ للمَثَل، وننتقل الآن للمعنى الثّاني لكلمة "المَثَل"، والمتمثّل في:

- المثال والانتصاب:

هذا المعنى نقله الميداني (ت: 518ه) صاحب مجمع الأمثال عن بعض العلماء، حيث قالوا: «سُمّيت الحِكم القائم صدقُها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول»[3].

فهي مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب، وهو من قبيل اشتقاق أسماء المعاني من أسماء الأعيان، لأنّه يعيد إلى الأذهان معنى الشّخوص والانتصاب، أي يمكن إرجاع معنى المادّة حسيّاً إلى البروز والشّخوص، فإذا قيل مَثَل ومَثُل أي قام منتصباً، فكلّ ما كان شاخصاً لأمر ما، كان مَثَلاً له، وعلما يعرف به، فكأنّه ماثل بين اليدين، ومنتصب أمام العينين، ويؤيّد هذه المعاني الأصمعي (ت: 216ه)، وابن السِّكِّيتِ (ت: 244ه)، والمبرد (ت: 258ه)، وابن رشيق (ت: 456ه) وغيرهم.

---

1 - ابن منظور: لسان العرب، 11/ 611 - 612.

2 - ينظر - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 2/ 1449.

3 - أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري أبو الفضل (ت: 518ه): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، 1/ 6.

قال ابن السِّكِّيتِ (ت: 244ه): المَثَلُ: لفظ يخالف لفظَ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللّفظ، شَبَّهُوه بالمثال الذي يُعْمَلُ عليه غيره[1].

– الصّفة[2]:

وهذا هو المعنى الثّالث لكلمة "المَثَل" جاء في شمس العلوم: «والمَثَل: الوصف»[3]. أي صفة الشّيء. جاء في المفردات للأصفهاني: «قال بعضهم: وقد يعبّر بهما عن وصف الشّيء»[4]. أي المَثَلُ والمِثْلُ.

وهو ما فسّره به ابن منظور ونقل ذلك عن الجوهريّ وابن سيده، فقال: «قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: ومَثَلُ الشَّيْءِ أَيضاً صِفَتُهُ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَقَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾»[5].

وقد ذهب إلى ذلك أبو عمرو بن العلاء (ت:154ه)، وأيّده يونس بن حبيب (ت:182ه)، ومحمّد بن سلّام الجمحي (ت: 232 ه)[6]، والثّعالبيّ (ت:429ه)، وبها فسّر قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾، وذهب إلى ذلك الزّركشيّ (ت:794ه) وغيرهم.

– عبرة، ودرس[7]:

هذا المعنى من المعاني التي ذكرتها معاجم اللّغة، جاء في لسان العرب: وقد يكون المَثَلُ بمعنى العِبْرةِ؛ ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلًا

---

1 – الميداني: مجمع الأمثال، 1/ 6.

2 – أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 2068.

3 – الحميرى: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،/ 6220.

4 – الراغب الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، ص: 759.

5 – ابن منظور: لسان العرب، 11/ 611.

6 – ينظر في ذلك لسان العرب بعد كلامه السابق من نفس الصفحة، والصفحة التي بعدها، وهو ما ذكره قبله الأزهري في تهذيب اللغة 70/15 وما بعدها، وقد رد هذا المعنى المبرد (ت: 285ه) في كتابه المقتضب.

7 – أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة،3/ 2068.

لِلْآخِرِينَ﴾، فمعنى السَّلَفِ أَنا جعلناهم متقدّمين يتّعظ بهم الغابرون، ومعنى قوله وَمَثَلًا أَي عِبْرة يعتبر بها المتأَخّرون[1].

- حُجّة ودليل:

جاء في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: أقام له مثلاً- سجّلت على اللّوحة مثلاً على ذلك- ضرب لهم مثلا من نفسه- ﴿وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[2].

- آية[3]:

جاء في لسان العرب: ويكون المَثَلُ بمعنى الآيةِ؛ قال الله - عزّ وجلّ - في صفة عيسى، على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام: ﴿وَجَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾؛ أي آية تدلّ على نبوّته[4].

فعندما نتمعّن هذه المعاني الأخيرة: العِبرة، والدّرس، والحجّة، والدّليل، والآية، نراها من غايات ضرب المَثَل ولوازمه، وليست من معانيه كما ذهب الفيروز آبادي (ت:817ه) في القاموس، وأبو البقاء الكوفي (ت: 1094ه) صاحب الكليّات وغيرهم، فهي من المعاني البعيدة عن المفهوم الاصطلاحيّ، وليس هناك رابط واضح يربطهما، وإن حَملت معنى من معاني المَثَل من النّاحية اللّغويّة مِثْلها مثل المعاني التّالية:

- غاية في بابه من جميع النّواحي: "هو مَثَلٌ في الأخلاق العالية"[5].

---

1 - ابن منظور: لسان العرب، 11/ 612. وينظر محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370ه): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 71/15.

2 - أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة،3/ 2068.

3 - المرجع نفسه،3/ 2068.

4 - ابن منظور: لسان العرب، 11/ 612 . والأزهري: تهذيب اللغة، 71/15.

5 - أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة،3/ 2068.

– أسطورة: وهو ما يذكر «على لسان حيوان أو جماد "أمثال كليلة ودمنة"»[1].

فهذه أهمّ المعاني اللّغويّة لكلمة "المَثَل" – وكما ذكرنا – فأقربها أشدّها صلة بالمراد من الأمثال هو معنى "الشّبه والنّظير" كما سنرى ذلك من خلال الوقوف على الجانب الاصطلاحيّ، وخاصّة في ذكر بعض سمات وخصائص المثل والتي منها المضرب والمورد[2].

ب – المثل في الاصطلاح:

عندما نلقي نظرة فاحصة على التّعريفات التي عُرِّفَ بها المَثَلُ نجدها كثيرة ومتنوّعة، تبعا لكثرة الأمثال وسعة تناولها لجميع جوانب الحياة، ولمكانتها بين الفنون الأدبيّة واللّغويّة، وللاهتمام الكبير الذي حظيت به بين مختلف الدّراسات والتّخصّصات، لذا يكاد الباحث يقف أمامها محتارا في اختيار أقرب تلك التّعريفات وأدقّها وأشملها في تحديد ماهية المَثَل.

ومن هنا سلكنا مسلكا في عرض تلك التّعريفات وأهمّ القائلين بها من خلال تحديد الاتجاهات التي تعرضت لتعريف المَثَل، والتي يمكن حصرها في اتّجاهين اثنين، كلّ اتجاه عرَّفها من خلال تخصّصه وميدانه، وهي كالتّالي:

الأوّل – الاتجاه التّفسيريّ والأدبيّ:

فقد عُنِيَ هذا الاتجاه بإبراز الخصائص والسّمات الأساسيّة التي تجعل من المَثَل فنّا من فنون الأدب يتميّز عن غيره من باقي الفنون الأدبيّة، فركّزوا على مواضع استعماله، وفسّروه على اعتبار الغرابة، والسّيرورة، والمورد، والمضرب، ومن الذين نحوا هذا المنحى ابن السّكّيت، فقد عرَّف المثَل بقوله: «المَثَل لفظ يخالف لفظ

1 – المرجع السابق،3/ 2068.

2 – المورد :هو أصل القصة التي قيل فيها لأول مرة . والمضرب: فهو الحال التي يستعمل فيها كلام الناس.

المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللّفظ»[1]. فنظر من خلال هذا التّعريف لمضرب المثل، ومخالفة لفظه له، مع اتّحادهما في المعنى.

ويقول المبرّد: «المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثّاني بالأوّل والأصل فيه التّشبيه... فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتّشبيه بحال الأوّل، كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ❊❊❊ وما مواعيدها إلّا الأباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكلّ ما لا يصحّ من المواعيد»[2].

فنظر من خلال هذا التّعريف لوجه المشابهة بين الحالين، مع التّنبيه على ملاحظة عامل السّيرورة والشّيوع، وهو ذاته ما فسّره به السّيوطيّ (ت: 911ه)، صاحب معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم، مع تركيزه على المضرب والمورد، فقال: «المثلُ: ما ذكر متى فشا استعماله كذلك، وقيل: هو القول السّائر الممثّل مضربه بمورده»[3].

كذلك نجد المفسّر اللّغويّ المعتزليّ الزّمخشريّ (ت: 538ه) صاحب الكشّاف قد اشترط التّمثيل بالمورد، وربط غرابة المثل وندرته بتداوله وقبوله وسيرورته، مع ذكر شيء آخر من خصائص المثل وهو الثّبات وعدم التّغير، فقال: «ثمّ قيل للقول السّائر الممثّل مضربه بمورده: مثل. ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتّسيير، ولا جديرا بالتّداول والقبول، إلّا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه. ومن

1 - الميداني: مجمع الأمثال، 1/ 6.

2 - المرجع نفسه، 1/ 6.

3 - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911ه)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424ه - 2004، ص: 99.

ثمّ حوفظ عليه وحمى من التّغيير»[1].

وينقل السّيوطي عن المرزوقي في شرح الفصيح؛ قوله: «المَثَلُ جملة من القول مقتضَبةٌ من أصلها أو مرسلةٌ بذاتها فتتّسم بالقبول وتشتهر بالتّداول فتنقل عمّا وردت فيه إلى كلِّ ما يصح قَصْدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها وعما يُوجِبه الظّاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تُضْرب وإن جُهِلت أسبابُها التي خرجت عليها واستجيز من الحذف ومُضَارع ضرورات الشّعر فيها ما لا يُسْتَجازُ في سائر الكلام»[2].

وجاء في كتاب الكليّات لأبي البقاء الرّنديّ: «والمثل، بِفتْحَتَيْنِ لُغَة؛ اسْم لنَوْع من الْكَلَام، وَهُوَ مَا تراضاه الْعَامَّة والخاصّة لتعريف الشَّيْء بِغَيْر مَا وضع لَهُ من اللَّفْظ، يسْتَعْمل فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء»[3].

وفي زهر الأكم في الأمثال والحكم: «وتلخيص القول في هذا المقام أنّ المثل هو قول يرد أوّلا لسبب خاصّ، ثمّ يتعدّاه إلى أشباهه فيستعمل فيها شائعا ذائعا على وجه تشبيهها بالمورد الأوّل»[4].

وقد سار على هذا الاتجاه في تعريف المثل جمهرة من الأدباء والمفسرين – غير ما ذكرنا – مثل أبي هلال العسكريّ(ت: بعد395ه)، والطّوسيّ (ت: 460ه)

---

1 – محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله أبو القاسم (ت: 538ه): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407ه، 1/ 72.

2 – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911ه): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1418ه 1998م،1/ 375.

3 – أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094ه): الكليات تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص: 852.

4 – الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (ت: 1102ه): زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة: الأولى،، 1401ه – 1981م، 1/ 21.

ومن المفسرين الكبار الرّازيّ (ت: 606ه)، والبيضاويّ (ت: 685ه)، وأبي السّعود (ت: 982ه)، وغيرهم، فقد رأوا بأنّ المثل ما اتّسم بعبارة موجزة شائعة الاستعمال، مركّزة الدّلالة، تمتاز بمهارة الصّنعة، موصوفة بالخبرة والغرابة (النّدرة)، ذات معنى متعلّق بحياة النّاس وظروفهم المتكرّرة، فيرتضونه ويتداولونه بينهم على سبيل الحكاية.

الثّاني – الاتجاه البلاغيّ:

هذا الاتجاه تعرضّ لتعريف المثل من النّاحية البلاغيّة التي تتمثّل في بيان الجوانب البلاغيّة والتّصويريّة للأمثال بحكم أنّها تبرز المعقول في صورة المحسوس فيلمسه النّاس، فيتقبله العقل؛ لأنّ المعاني المعقولة لا تستقر في الذّهن إلّا إذا صيغت في صورة حسيّة قريبة الفهم باعتبار أنّ المَثَل من حالات التّمثيل، الذي يتمثل في التّشبيه أو الكناية أو الاستعارة ... وهذا ما ذكرناه في بيان المعنى اللّغويّ للمَثَل عندما أشرنا أنّ من معانيه الشّبه والنّظير، وكذلك أبرزوا أهمّ الخصائص البلاغيّة التي يمتاز بها المَثَل، كالإيجاز وإصابة المعنى ورشاقة اللّفظ وحسن التّشبيه وجودة الكناية . . .

يقول أبو هلال العسكريّ: «ولمّا عرفت العرب الأمثال تتصرّف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوا في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها، فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مؤونتها على المتكلّم من كثير عنايتها وجسيم عائداتها، ومن عجائبها أنّها مع إعجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ الموكل بما راع من اللّفظ وندر من المعنى»[1]. وحتّى يتّضح ذلك نعرض جملة من تعريفاتهم.

1 – الحسن بن عبد الله العسكري أبو هلال (ت: نحو 395ه): جمهرة الأمثال، دار الفكر – بيروت، 4/1.

يقول إبراهيم النّظّام (ت 221ه): «يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللّفظ، وإصابة المعنى، وحسن التّشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة»[1].

وعرَّفه بن سلّام (ت 224ه) الأمثال، بقوله: «حكمة العرب في الجاهلية والإسلام. وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكتابة غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللّفظ، وإصابة المعنى وحسن التّشبيه»[2].

فهو يشير إلى أنّ المثل كناية بطريقة غير مباشرة، بما فيه من دلالة إيحائية، مُصاغ بأسلوب التّمثيل، بذكر أهمّ سماته المتمثّلة في: إيجاز اللّفظ، وكثافة المعنى وإصابته، وحسن التّشبيه. وبذلك يوجز لنا الجانب التّصويريّ للمثل من النّاحية الفنيّة، وقد نقل هذا المعنى الكثير من العلماء منهم ابن رشيق (ت: 456ه) في العمدة وغيره.

ويقول ابن فارس (ت: 395ه): «المِثْلُ أيضًا، كَشَبَهٍ وَشِبْهٍ، والْمَثَلُ المضروب مأخوذ من هذا، لأنّه يذكر مورّى به عن مثله في المعنى». بهذا أشار لما في المثل من السّمات المجازيّة القائمة على التّشبيه والمماثلة والتّورية[3].

وقال الرّاغب: «والمَثَلُ عبارة عن قول في شيء قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوّره»[4]. فبيّن بهذا سمة المشابهة بين مورد المثل ومضربه، على

---

1 – أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733ه): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423ه، 3/ 2.

2 – القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي أبو عُبيد (ت: 224ه): الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، 1400ه – 1980م، ص: 34. وينظر المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضّبّيّ (ت: نحو 168ه): أمثال العرب ط الهلال، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 ه، ص: 7.

3 – ابن فارس: مقاييس اللغة، 5/269.

4 – الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص: 759.

اعتبار أنّه تعبير للإيضاح والمشابهة، وهو ما رآه الفراء (ت:207ه) وأبو عبيدة (ت: 209ه) والطّوسيّ (ت:460ه) والميدانيّ (ت:516ه)، والرّازيّ (ت:606ه)، وابن قيم الجوزيّة (ت:751ه) وأبو حيّان الأندلسيّ (ت:754ه) وأبو البقاء الكفويّ (ت:1095ه).. بأنّ المثل يراد به التّشبيه أو هو قائم على التّشبيه وما يتّصل به؛ بل يرى عبد القاهر الجرجانيّ (ت:471ه) في كتابه: أسرار البلاغة، أنّ المثل يقوم على التّشبيه المركّب، والجاحظ (ت: 255ه) رآه استعمل بمعنى الاستعارة.

فهكذا كانت نظرة البلاغيّين للمثل تدور حول التّشبيه وما يلحق به من التّمثيل والكناية والاستعارة، والمجاز المرسل.. وبهذا عرَّف مصطفى ديب البُغا المَثَل بقوله: «هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النّفس، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا»[1].

ومن خلال هذه التّعريفات المختلفة للمثل يسوقنا المقام للوقوف على أنوع المثل القرآنيّ والعربيّ حتّى يتّضح مجال دراستنا ويتحدّد نطاقها.

1 – مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418ه – 1998م، ص: 197.

2 – أنواع المثل القرآنيّ

توطئة

في هذا العنصر نحن بحاجة لمعرفة أنواع المثل القرآنيّ؛ لأنّ الدّراسة تنبني عمّا نختاره من أنواع، وعليه أدرجنا هذا العنصر هنا، وحتّى لا نطيل التّفصيل في هذه النّقطة فإنّنا نوجز الكلام فيها بما هو مهمّ، وذلك لأنّ التّفصيل ليس من أهداف بحثنا هنا؛ كما أنّ التّفصيل يأخذ صفحات كثيرة نحن في غنّى عنها في هذا البحث، وعلى كلّ حال، وبعد الاطلاع على جهود المهتمّين بشأن المثل القرآنيّ، وخاصّة من القدامى، فإنّهم قسّموا المثل القرآنيّ من حيث الظّهور وعدمه، إلى ظاهر (صريح)، وكامن (غير صريح).

وهناك من يسمّيه القياسيّ والسّائر، أو الموجز والسّائر– وخاصّة من المحدثين – والذي يظهر لي بعد التّمحيص والتّدقيق أنّ هذه التّسميات جاءت عند من جعل أنواع الأمثال مشتركة، تنطبق على الأمثال القرآنيّة والحديثيّة والعربيّة وغيرها، ولم يخصّص أمثالا منها دون الأخرى.. كما نرى البعض ذهب لتقسيمات أخرى من هذا المنطلق، فقسّمها لقصيرة وطويلة كما فعل ابن رشيق في العمدة.

وهذا الامتزاج في تقسيم الأنواع – بين المثل القرآنيّ وغيره – دفع بالباحث محمد جابر الفيّاض، بأنّ يخصّص في رسالته "الأمثال في القرآن الكريم" عنوانا تحت مسمّى: "أنواع الأمثال" وسرد فيها التّقسيمات المختلفة، مع التّحليل والنّقد، فسوّد حوالي ثمان صفحات[1]، ثمّ خصّ الأمثال القرآنيّة بعنوان آخر تحت مسمّى: "أنواع الأمثال القرآنيّة" وسوّد في – ذلك – تسع وثلاثين صفحة[2]، وذكر فيها كلّ التّقسيمات لأنواع المثل القرآنيّ، وخرج بملخّص مفاده أنّه لا يوجد إلّا نوعا واحدا

1 – ينظر – محمد جابر الفياض: الأمثال في القرآن الكريم، ص: 93 وما بعدها.

2 – ينظر – المرجع نفسه، ص:201 وما بعدها.

سمّاه بـ "المقصود"، وقسّمه لنوعين، هما: أمثال تشبيه، وأمثال قصص.

يقول في ذلك: «وبعد هذا العرض الشّامل لما قيل عن أنواع المثّل في القرآن، يمكننا أن نقول مطمئنّين، إنّ الأمثال القرآنيّة – وفقا لمفهوم القرآن للمثل – قد اقتصرت على الأمثال المقصودة، وجاءت على نوعين: أمثال تشبيه وتمثيل ومقارنة وموازنة، وأمثال قصص وحكايات لا غير، وكلّ ما قيل عن وجود أنواع أخرى، غير هذين النّوعين ليس له سَنَدٍ من القرآن»[1].

وعلى كلّ حال فإنّ دراسته انطلقت من عدم التّفريق بين من خَصَّصَ أو عَمَّمَ في تقسيم أنواع الأمثال، فذكرهم جميعا وعدّ تقسيماتهم القديمة والحديثة، وانتهى بالنّتيجة التي وصل إليها من خلال تحديد المراد بدلالة لفظ المثّل في القرآن الكريم، وبالتّالي أخرج الأمثال الخفيّة غير الصّريحة، والتي تسمى بـ"الكامنة" واكتفى بالأمثال الظّاهرة أو الصريحة التي تدخل ضمن دلالة مصطلح المَثَل القرآنيّ الذي جاء على صيغة التّشبيه والتّمثيل والموازنة والمقارنة أو القصص والحكايات، وجعلها أنواعا للمثل القرآنيّ، ولهذا لم يدرس "الكامن" ومع ذلك نجده استعمل مصطلح "الظّاهرة" أثناء رصده لها وتصنيفها بين المكيّة والمدنيّة.

وللإشارة فإنّ عبد الرّحمان حبنكة الميدانيّ – أيضا – تعرضّ لتقسيمات المثل القرآنيّ في كتابه "أمثال القرآن"، لكنّه لم يشر للتّقسيمات التي ذكرناها، وذلك لأنّ اهتمامه انصبّ على دراسة المثل وتحليله واستخراج ما فيه من صور وآداب رفيعة، ولهذا اكتفى في دراسته بالتّعرض لها من الوجهة البلاغيّة والبيانيّة فقط دون غيرها، وعليه ركّز على ثلاثة تقسيمات في هذا الجانب، تمثّلت في: كون التّمثيل بسيطا أو مركّبا، وكون التّمثيل يدرك بالحسّ الظّاهر أو لا يدرك بالحسّ الظّاهر، وكون المثل منتزع من صورة من الواقع أم هو مجرّد صورة من الخيال، ومن هنا لم يكن يعنيه

1 – المرجع السابق، ص: 93 وما بعدها. وص:239 .

الجانب التّنظيريّ من حيث التّعريف والتّقسيم وغيرهما.

وأعود فأقول بأنّ التّقسيم الأوّل الذي ذكرناه المبنيّ على أساس الظّهور وعدمه؛ قد سار عليه جمهرة الدّارسين للمثل القرآنيّ – السّابقون منهم واللّاحقون – مع اختلاف طفيف بينهم، يتمثّل في: إمّا الاكتفاء بذكر نوع واحد من غير الصّريح الذي هو الكامن – وهذا الذي اخترته في هذا الكتاب، وسنعلّل بعد قليل سبب هذا الاختيار– أو بتقسيمه إلى نوعين، حسب عموم الأمثال التي اقتبست من القرآن الكريم، ولا تدخل ضمن دائرة النّوع الأوّل الصّريح (الظّاهر)، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

أ – تقسيمها إلى نوعين

أي تقسيمها إلى ظاهر مصرّح به، وكامن خفيّ غير مصرّح به، بمعنى لم يرد على صيغة المثل المصرح به، وهذا التّقسيم ذكره بدر الدّين الزّركشيّ (ت: 794ه) في موسوعته القرآنيّة "البرهان في علوم القرآن" فقال: «وهو قسمان ظاهر وهو المصرّح به، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه، وحكمه حكم الأمثال»[1].

وقد نقل عنه السّيوطيّ ذلك في موسوعته القرآنيّة "الإتقان في علوم القرآن" وفي كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، فقال: «أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرّح به وكامن لا ذكر للمثل فيه»[2].

ونهج نهجهم من جاء بعدهم، وكذلك العديد من المعاصرين منهم أحمد

---

1 – بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أبو عبد الله (ت: 794ه): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ودار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1376ه – 1957م،1/ 486.

2 – جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن (4/ 46)، وينظر عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911ه): معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1408ه – 1988م، 1/ 353.

الهاشميّ (ت:1362ه) في كتابه "جواهر الأدب"[1] وكذلك إبراهيم بن إسماعيل الأبياريّ (ت: 1414ه) في كتابه "الموسوعة القرآنيّة"[2]، وغيرهم.

ب – تقسيمها إلى ثلاثة أنواع

فأصحاب هذا الرّأي قسموها لثلاثة أنواع، فذكروا النّوعين الأوّلين (الظّاهر والكامن) وزادوا نوعا ثالثا، وهو (المرسل)، وكما أشرت سابقا فإنّ النّوعين الأخيرين يندرجان ضمن (غير الصّريح)، أي الذي لم يرد بصيغة المثل، ومع ذلك ارتضوا هذا التّقسيم، بحكم أنّهم وجدوا العديد من الأمثال التي اقتبست من القرآن الكريم، وسارت في النّاس من غير أن تأتي بصريح المثل، فجعلوها نوعا مستقلّا كباقي الأنواع، ولم يدرجوها ضمن الكامن، لأنّ الكامن يحمل معنى له نظير في الأمثال العربيّة الفصيحة، وأمّا المرسلة فليس لها نظير فقد أرسلت إرسالا فسارت وأصبحت أمثالا.

وقد ذهب لهذا التّقسيم العديد من الباحثين المعاصرين، منهم الأستاذ محمّد أحمد محمّد معبد (ت: 1430ه) في كتابه "نفحات من علوم القرآن"[3]، ومنهم أيضا الأستاذ منّاع القطّان في كتابه "مباحث في علوم القرآن"[4]، وكذلك الأستاذ محمّد بكر إسماعيل في كتابه "دراسات في علوم القرآن"[5]، والأستاذ إبراهيم محمّد الجرمي في معجمه "معجم علوم القرآن"[6]، والأستاذ عبد الله بن يوسف الجديع في كتابه

---

1 – ينظر – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362ه): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت،1/ 288.

2 – ينظر – إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: 1414ه): الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: 1405ه،2/295.

3 – ينظر – محمد أحمد محمد معبد (ت: 1430ه): نفحات من علوم القرآن، دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية: 1426 ه – 2005 م، ص: 110.

4 – ينظر – مناع القطان: "مباحث في علوم القرآن"، ص: 293.

5 – ينظر – محمد بكر إسماعيل: دراسات في علوم القرآن، ص: 300، وما بعدها.

6 – ينظر – إبراهيم محمد الجرمي: معجم علوم القرآن، ص: 42.

"المقدّمات الأساسية في علوم القرآن"[1]. فجميع هؤلاء قالوا بأنّها تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أوّلا – الأمثال المصرّحة (الظّاهرة): وهي التي صُرِّحَ فيها بلفظ المثل أو ما يقوم مقامه، أو ما يدلّ على التّشبيه، وهي كثيرة في القرآن الكريم سنذكرها – قريبا – في مكانها من هذه الدّراسة، حتّى لا نثقل كاهل البحث بالإطالة والتّكرار.

ثانيا – الأمثال الكامنة: وهي أمثال بمعانيها لا بألفاظها، فالتّمثيل فيها كامن غير ظاهر، لهذا أسموها بالأمثال الكامنة. أو هي التي لم يصرح فيها بلفظ التّمثيل، ولكنّها تدلّ على معان رائعة يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها.

أي: أنّها أمثال لم تضرب لبيان حال خاصّة، ولا لصفة معيّنة، ولا لتلخيص حادثة وقعت في زمنٍ من الأزمان، ولم يصرَّح فيها بالتّمثيل من قريب ولا من بعيد، ولكن يدلّ في مضمونها على معنى يشبه مثلًا من أمثال العرب المعروفة.

أو بمفهوم آخر: هي عبارة عن ورود أقوال وأمثال مشهورة عند العرب فبحثوا لها عن نظائرها في القرآن الكريم فوجدوها توافق في معناها بعض الآيات القرآنيّة، فأصبحت تلك الآيات تسمّى بالأمثال الكامنة، فأخذت مسمّى وحكم الأمثال كما قال الزّركشيّ، وسنذكرها في حينها من هذا البحث كالظّاهرة.

ثالثا – الأمثال المرسلة: وهي جمل قد أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التّشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

أو هي جمل كثر التّمثيل بها لما فيها من العظة والعبرة والإقناع. وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها في المسلمين، ولم تكن أمثالًا في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقيّة ودينيّة مركزة.

وبما أنّنا لا نتعرّض لها بالدّراسة في بحثنا – للتّعليلات التي سنذكرها – لا

---

1 – ينظر – عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م، ص: 394.

بأس أن نذكر منها بعض النّماذج، منها قوله تعالى:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شيئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة:216)،

﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ (الأنعام:67)،

﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود:81)،

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف:41)،

﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ (يوسف:51)،

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء:84)،

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (الحج:73)،

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون:53)،

﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر:43)،

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات:61)،

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (النجم:58)،

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن:60)،

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر:38).

فهذه مجموعة من الأمثال المرسلة التي يطلقها النّاس في بعض مواقفهم.

وبعد هذه النّماذج نعود لما وعدنا به من التّعليل لسبب اختيارنا للنّوعين الأوّلين فقط دون النّوع الثّالث الذي هو "المرسل"، فإنّ الأمر يرجع لسببين اثنين، هما:

أوّلا – أنّها جميعا (الكامنة والمرسلة) تشترك في كونها لا تدخل ضمن دائرة المصرّح به، أي أنّها غير صريحة، وبالتّالي هي تحمل مفهوما واحدا مشتركا من حيث البنية والأسلوب يختلف عن المصرّح به، والفارق بينهما أنّ الأولى سيقت لمعنى موجود في نظيرها من الأمثال العربيّة، والثّانية سيقت من غير معنى في نظير لها، ويشتركان في كونهما لم يصرّح فيهما بلفظ المثل، وكلاهما يدلّ على معان رفيعة

ورائعة.

وعلى ذلك نجد السّيوطيّ بعدما تحدّث عن الكامنة، ذكر النّوع الثّالث (المرسل) من باب الفائدة ومن غير أن يسمّيه، واكتفى بجريانها مِثْل المثل، فقال: «فائدة: عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابا في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النّوع البديعيّ المسمّى بإرسال المثل وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾.»[1].

ما يدلّ على أنّ الكامنة كما اقتبست من القرآن الكريم فإنّ هناك أمثالها يمكن أن يُقْتَبس أيضا، وهذا ما دفع بأحمد الهاشميّ في جواهر الأدب بأن يجعل غير المصرّح به كلّه تحت مفهوم واحد، سواء ما قُورِن بنظيره، أو ما اقتبس فشاع ولم يُقارن بنظيرٍ، أو ما يصلح أن يكون مثلا ولم يستعمل بعد، وجعلها جميعا تحت مسمّى واحد وهو "الكامنة"، وقال: «وأمّا أمثاله الكامنة فهي الآداب البارعة والحكم الباهرة»[2].

هكذا عرّفها بإطلاق على خلاف ما عرّفها به الباقون – والقرآن كلّه حكم ويصلح أن يكون أمثالا بهذا المفهوم الواسع – وأعطى نماذج منها ما هو في عداد الكامنة، ومنها ما هو في عداد المرسلة، ومنها ما يصلح أن يكون مثلا، ولا يدخل ضمن الدّائرتين على رأي من قال بالأنواع الثّلاث.

ثانيا – وعلى فرض أنّ كلّ واحد منها نوع مستقل؛ فإنّ المرسلة لم تخصّ بالتّأليف فهي مجرّد نماذج ذكرت للتّدليل عليها فقط، وأمّا النّوع الكامن فكُتِبَ فيه، وأشير إليه، وأُلِفَت فيه مصنفات خاصة – كما أُلِفَت في الظّاهر – وقد بلغنا منها كتاب "الأمثال الكامنة في القرآن الكريم" للحسين بن الفضل البجلي الكوفي أبو

1 – جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 4/ 50.

2 – أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، 1 / 290.

علي (ت:282هـ)، الذي سنعتمد عليه في دراستها، وهذا يجعل دراستنا مضبوطة بمدوّنة معروفة يسهل الرّجوع إليها، وهو أفضل من اختيار نماذج مرسلة لا تستند لمرجع معتمد، بل ومازالت في طيّ المجهول غير المستعمل، قد نتّفق فيها وقد نختلف، فلا يكفي أن تكون فيها القابلية لأنّ تكون أمثالا ندرسها في كتابنا هذا، بل تصلح لها دراسة أخرى يكون فيها التّنظير لها مع الاستقراء والتّطبيق لبيان أكبر قدر ممكن منها، وهذا ليس مجال بحثنا في هذا الكتاب.

وخلاصة الكلام في الأنواع أنّنا اكتفينا بالنّوعين الأوّلين (الظّاهر والكامن) في دراستنا هذه، فهدفنا هو الدّراسة والتّحليل والبيان ولا يهمّ موقع المثل أو تسميّته فإنّها لا تقدّم ولا تؤخر في دراستنا هذه شيئا، ومع ذلك يمكن طرح وجهة نظر جديدة في تقسيم أنواع المثل القرآني، تتمثل في تقسيمه إلى نوعين : (ظاهر – وخفيّ) أو (صريح – وغير صريح)، والصّريح يدخل ضمنه العديد من الأشكال: كالأمثال القائمة على التّشبيه أو المقارنة أو التّمثيل أو الحكايات أو القصص ... أي ما يحمل صفة المثليّة، وغير الصّريح يدخل ضمنه العديد من الأشكال أيضا: كالكامنة والمرسلة والمهيأة ... أي ما لا يحمل صفة المثليّة وأصبح مثلا أو فيه قابلية أن يكون مثلا.

3 - أنواع المثل العربيّ

توطئة

لقد بلَغَت العرب في ضرب الأمثال مبلغا لا يدرك، فسلكوا فيها كلّ مسلك، ولا يكاد يخلو كلام لهم من مثل في تضاعيفه، كما زيّنوا بها فنون القول وتصاريفه، فلا عجب أن يهتمّ بها الباحثون والدّارسون فبيّنوا لنا موردها ثمّ رتّبوها في ضروب مختلفة للتّمييز بين صنوفها وأنواعها. وبعدها تناولوها بالجمع والشّرح والبيان.

ونحن في هذه الدّراسة للأمثال العربيّة الفصحى عالة عليهم، ولذا اخترنا كتاب أمثال العرب للمفضل بن محمّد بن يعلى بن سالم الضّبّيّ (ت: نحو 168ه) الذي حقّقه بعض العلماء ومنهم الدّكتور إحسان عبّاس، وطبعته دار الرّائد العربيّ، بيروت – لبنان، وقد كانت الطّبعة الأولى، سنة: 1401ه=1981م، والثّانية، سنة: 1403ه=1983م، وجعلناه عمدتنا لأنّه أقدم كتاب في الأمثال الجاهلية، يقول إحسان عباس في مقدّمته على الكتاب: «تعدّ أمثال الضّبّيّ أقدم مجموعة وصلتنا من الأمثال، وهي لذلك أقدم صورة لدينا من المثل الجاهليّ المقترن بالحكاية، ومن ثمّ كانت قيمة هذا الكتاب كبيرة، لأنّه أصبح مصدراً لأكثر الكتب التي أُلِّفت بعده في هذا الموضوع»[1].

وعلى كلّ حال ففي الكتاب حاولي ثمانّ وثمانين حكاية جمعت مائة وثمانين مثلا تقريبا، ولكن قبل أن نبدأ في التّحليل لا بدّ أن نبيّن أنواع المثل العربيّ حتّى يتّضح محلّ الدّراسة – كما فعلنا مع الأمثال القرآنيّة – فمّما ذكرناه في تعريف المثل في بداية هذا الكتاب؛ وخاصّة عندما نقلنا بعض التّعريفات البلاغيّة والأدبيّة التي وجدناها تركّز على شيئين اثنين هما: السّيرورة والإيجاز، وحسن التّشبيه والتّمثيل، يتّضح لنا أنواع الأمثال العربيّة، فمن تلك التّعريفات:

يقول أبو عُبيد القاسم بن سلّام (ت: 224ه): «... فيجتمع لها بذلك ثلاثة

---

1 – المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضّبّيّ (ت: نحو 168ه): أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة والثانية، 1403ه = 1983م، ص:1.

خلال، إيجاز اللّفظ، وإصابة المعنى، وحسن التّشبيه»[1].

فهذا التّعريف يبيّن نوعين: أوّلها يتمثّل في: "إيجاز اللّفظ، وإصابة المعنى" وهو ما أطلق عليه العلماء بالمثل السّائر أو الموجز. وثانيهما يتمثّل في: "حسن التّشبيه" الذي أطلق عليه العلماء المثل القياسي.

وقريب من هذا عند المبرد – أيضا – حيث عرّف المثل بقوله: «المَثَلُ مأخوذ من المِثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حالُ الثّاني بالأوّل، والأصل فيه التَّشْبِيه، فقولُهم "مَثَلَ بَيْنَ يَدَيه" إذا انتصب معناه أَشْبَهَ الصّورةَ المنتصِبة، و"فلان أَمْثَلُ من فلان" أي أَشْبَهُ بما لَه (من) الفضل. والمِثالُ القِصاصُ لتشبيه حالِ المقتَصِّ منه بحال الأوّل، فحقيقة المَثَلِ ما جُعل كالعلم للتّشبيه بحال الأوَّل»[2].

فقد ذكر قوله: "المثل السّائر" وهذا هو المثل السّائر، وقوله: "والأصل فيه التَّشْبِيه" وهذا هو القياسيّ، فهو لم يقصد التّقسيم، ولكن بيّن أنّ المثل يركّب من هذا وهذا، وكأنّه جعلهما شيئا واحدا، وهكذا فعل غيره من الأوائل عند تعريفهم للمثل.

كما أنّ العلماء لمّا جمعوا الأمثال العربيّة لم يتركوا منها شيئا تقريبا، بالتّالي تلوّنت وتعدّدت وكثرت (فشملت ضروباً أخرى مثل الحديث والحكمة والشّعر، وتعدّدت المؤلّفات فيها، وازداد عددها على مرّ الزّمن، وتفرّعت في ثلاثة أقسام على الأقل: الأمثال القديمة، وأمثال المولّدين، وأمثال العامّة، وعلى مرّ الزّمن أيضاً كثرت فيها الخرافات على ألسنة الحيوانات)[3].

من هذا كلّه استشف العلماء أنّ المثل العربيّ على ثلاثة أنواع، هي:

أ – المثل السّائر (الموجز):

فسمّي بالسّائر لفشوّه وشيوعه، وكثرة تناقله وتداوله علي ألسنة النّاس، ويسمّى بالموجز نظرا لاختزال كلماته وقلّة ألفاظه، فهو عبارة عن: كلمة موجزة قيلت في

1 – ابن سلاّم: الأمثال، ص: 34.

2 – الميداني: مجمع الأمثال،1/ 5.

3 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص:1.

مناسبة ما، ثمّ تناقلتها الألسن جيلا إثر جيل[1]. أو: «أنّه القول السّائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب، وتشبه فيه حالة مضربه بحالة مورده». كقولهم: السّرّ أمانة، العِدّة عطية، العَوْد أحمد، النّساء حبائل الشّيطان، الحرب غَشُوم[2].

وهو كثير في كلام العرب نثرا ونظما، وأفضله ما كان موجزا. وهو المراد عند التّعميم والإطلاق، وهو الذي نخصّه بالدّراسة في كتابنا هذا، بحكم ما رسمناه من إشكالية انطلاقا من مضمون الدّراسة.

ب – المثل القياسيّ:

وهو نوع من التّشبيه يسمّيه البلاغيون بالتّمثيل المركّب، كقولنا: القرى مطمئنة فدهمها السّيل فأصبحت كالسّفن الهائجة في البحر المضطرب[3]. فهو عبارة عن سرد وصفيّ أو قصصيّ أو صورة بيانيّة لتوضيح فكرة ما عن طريق التّشبيه والتّمثيل، لغرض التّأديب والتّهذيب أو التّوضيح والتّصوير، وهذا النّوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التّصوير.

يقول عبد الحميد قطامش: «وهذا النّوع من الأمثال يكاد يكون معدوما في مدونات الأمثال العربيّة القديمة، فإنّنا إذا تصفّحنا هذه المدوّنات لا نكاد نعثر على مثل واحد منها، ولكنّنا نجده بكثرة في القرآن الكريم، وفي كلام الرّسول صلّى الله عليه وسلّم»[4].

فهذا النّوع من الأمثال جاء متأخّرا بعد نزول القرآن الكريم، وورود الحديث النّبويّ الشّريف، اللّذين على منوالهما قاس النّاس أمثلة قياسيّة كثيرة، وقد جمع أبو عبد الله محمّد بن علي الحكيم التّرمذيّ (ت:330ه) طائفة كبيرة من هذه الأمثال،

---

1 – ينظر – محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص: 46. وينظر – بهية محمد القرشي: بعض الدلالات التربوية في الأمثال النبوية من خلال كتاب (أمثال الحديث) للرامهرزي، بحث للحصول على الماجستير، جامعة أم القرى – السعودية، سنة: 1417ه – 1996م، ص: 38.

2 – عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى – 1988، ص: 28.

3 – ينظر – محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص: 46. وينظر – بهية محمد القرشي: بعض الدلالات التربوية في الأمثال النبوية، ص: 38.

4 – عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، ص: 30.

منها:"مثل العالم مثل النّجوم التي يقتدى بها، والأعلام التي يهتدى بها، إذا تغّيبت عنهم تحيّروا، وإذا تركوها ضلّوا". ومنها: "مثل النّاس والإمام كمثل الفسطاط، لا يقوم إلّا بعمود، ولا يقوم العمود إلّا بالأوتاد، فكلّما نُزع وتد ازداد العمود وَهنا"[1].

وممّا ذكرنا فإنّ هذا النّوع من الأمثال لا تتعلّق به دراستنا، لأنّه لا يدخل ضمن إشكالية بحثنا، المرتبطة بالمثل الفصيح من خلال كتاب الضّبّيّ، فنحن خصّصنا دراستنا لأمثال العرب الفصحاء، وأهمّ فترة فيها فترة ما قبل نزول القرآن، بحكم ما فيها من أمثال لم يدوّن مثلها في صدر الإسلام أو في فترة الفصاحة، وعلى هذا اعتمدنا كتاب أمثال العرب للمفضل الضّبّيّ، فهو أقدم موسوعة فصيحة وصلت إلينا ومن بعده عالة عليه.

ج – المثل الخرافي

وهي حكاية ذات مغزى تقال على لسان غير الإنسان، وتهدف لغرض تعليميّ أو فكاهيّ[2]. وما أشبه ذلك. كقولهم على لسان الحيوان: أُكلت يوم أُكل الثّور الأبيض[3].

وطبيعي أنّ هذا النّوع من الكلمات والحكايات لا أساس له من واقع أو عقل، ومن ثمّ كان اللّغويون يطلقون عليه اسم "أكاذيب العرب" أو "أكاذيب الأعراب" أو "رموز العرب"[4].

وعليه فهذا النّوع – كذلك – ليس محلا لدراستنا بما وصفنا لك سابقا، فهو متأخّر كثيرا عن المثل السّائر، وشاع في القرون ما بعد عصر الفصاحة، وبالتّالي يبقى النّوع الوحيد للدّراسة هو النّوع الأول المتمثّل في المثل السائر، تماشيا مع مضمون كتابنا.

---

1 – ينظر – محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص: 31.

2 – ينظر – المرجع نفسه، ص: 46. وينظر – عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، ص: 31. وينظر – بهية محمد القرشي: بعض الدلالات التربوية في الأمثال النبوية، ص: 38.

3 – ينظر – ابن سلام: الأمثال، ص: 184. وعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ): التمثيل والمحاضرة، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، 1401 هـ – 1981 م، ص: 39. والميداني: مجمع الأمثال، 1/ 25. وأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: 821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت،15/ 617.

4 – ينظر – عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، ص: 32.

ثانيًا ـ التعريف بالأساليب البلاغيّة

ونتناول في هذا العنصر ما يلي:

1- الأسلوب الإخباري

2 - الأسلوب الإنشائي

توطئة

بعد التّعريف بالمثل وبيان أنواعه، نتوجّه لدراسة أسلوبه البلاغيّ، كون المثل نسيجا لغويّا تشكّلت به بنيته، ومنه انبثق التّركيب المثلي، وعندما نرجع للاستعمال اللّغويّ نجد العرب قد استعملت أسلوبين هما؛ الأسلوب الإخباريّ (الخبر) والأسلوب الإنشائيّ (الإنشاء) وهذا ما حدّده علماء البلاغة في علم المعاني، كون الكلام العربيّ يخرج بأحد هذين الأسلوبين، ولكلّ واحد منهما تفصيل وكلام، والتّفريق بينهما من حيث وجود التّصديق والكذب أو احتمالهما.

ومن المعاصرين من أشار إلى تميّز بعض الأساليب البلاغيّة عن هذين، والتّلويح إلى جعله قسما مستقلا بذاته، ومن تلك الأساليب؛ الأسلوب الشّرطيّ (الشّرط) كما نلحظه عند تمّام حسّان في كتابه: "الأصول دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب"؛ حيث يقول: «أمّا بالنّسبة إلى أضرب الأساليب، فقد حاول علماء المعاني أن يربطوا بعلاقة ما بين "الضّرب" و"مقتضى الحال"، فحدّد البلاغيون نوعين عامّين من الأسلوب هما "الخبر" و"الإنشاء"، وبنوا التّفريق بينهما على احتمال الصّدق والكذب وعدم احتمالهما. وهو معيار منطقيّ لا فنّيّ. ولقد أدّى اعتمادهم على هذا المعيار إلى اضطرارهم إلى التّهرب من نسبة "الشّرط" نسبة قاطعة إلى أحد الأسلوبين، واعتباره أسلوبا ثالثا قائما بذاته، يجوز عليه الصّدق والكذب حينا نحو "إن بدا ضوء الشّمس فالوقت نهار". ولا يجوز حينا آخر نحو "إن سمعت العويل فرحم الله زيدا" لأنّ الكلام هنا ليس له نسبة خارجيّة توافق أو تخالف النّسبة الكلاميّة، لهذا السّبب نظر علماء المعاني إلى الشّرط

باعتباره صورة من صور التّقييد، على نحو ما رآه الأصوليون قبلهم»[1].

وقد ذكر أحمد الجواري في كتابه "نحو المعاني" أنّ الزّمخشريّ اعتبر الجملة الشّرطيّة من أقسام الجمل فهو يجعلها قسما مستقلا قائما بذاته، ويرى من ذلك أنّ جملة الشّرط تستحقّ أن تعدّ قسما قائما بذاته بين الجمل، لأنّ في طبيعة صيغتها، وفي أداء معناها، ما يميزها عن الجملتين الخبريّة والإنشائيّة، ولكن غالبيّة القدامى عدّوا الجملة الشّرطيّة جملة خبريّة تقوم على أساس علاقة الإسناد، ولمّا كان الصّدق والكذب هو الحكم الفاصل بين الخبر والإنشاء فقد تحدّد هذا الأسلوب خبريّا، وإن ورد بصيغة الإنشاء عدّ إنشائيا، وإلى هذا ذهب الرّضيّ والزّركشيّ وتابعهم بعض المحدثين، وقد سار البلاغيّون على نهج غالبيّة النّحاة في عدّ الجملة الشّرطيّة جملة خبريّة لأنّها مقيّدة بشرط الإخبار[2].

وبالتّالي سنقف في هذا العنصر على بسطة نظرية تتعلّق بهذين الأسلوبين، بحكم أنّه الاختيار المعمول به عند الجميع – قديما وحديثا – وثانيّا أنّ الشّرط يدخل ضمن المؤكّدات الخبريّة، كما سنرى ذلك قريبا.

1- الأسلوب الإخباريّ

الخبرُ: كلامٌ يحتملُ الصّدق والكذب لذاته[3]. والمراد: بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر[4]. أي أنّه مطابق للواقع سواء تكلّمت به أو لم تتكلّم، كقولك

---

1 – تمام حسان: الأصول، دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللّغوي عند العرب، (النحو – فقه اللغة – البلاغة)، عالم الكتب، القاهرة، 1420هـ/ 2000م، ص: 311.

2 – ينظر – هناء محمد شهاب وحسين علي عزيز: أسلوب الخبر في سورتي المائدة ومريم موازنة بلاغية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل/ كلية التربية، المجلد 2، العدد 1، تاريخ قبول النشر: 2005/3/16، ص 62.

3 – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 55. وحامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، 6/2.

4 – المرجع نفسه، ص: 55. والمرجع نفسه، 6/2.

العلم نافع، فهو مطابق للواقع وفعلا أنّه نافع، والمراد بكذبه عدم مطابقته له[1]. أي أنّه غير مطابق للواقع، كقولك العلم ضارّ أو الجهل نافع، فهذا مخالف للواقع وبالتّالي يحتمل الكذب. بمعنى: إن طابقت النّسبة الكلاميّة النّسبة الخارجيّة في الإيجاب أو في النّفي كان الكلام صدقا، وإلّا كان كذبا[2].

والأصلُ في الخبر أن يُلقى لأحد غرضين[3]:

(أ) إمّا إفادة المخاطب الحكم الذي تضمّنته الجملة، إذا كان جاهلا له، ويسمّى هذا النّوع «فائدة الخبر» نحو «الدّين المعاملة».

(ب) وإمّا إفادة المخاطب أنّ المتكلّم عالم أيضا بأنّه يعلم الخبر كما تقولُ: للطّالب أخفى عليك نجاحه في الامتحان - وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، ويسمّى هذا النّوع. «لازمَ الفائدة» لأنّه يلزم في كلّ خبر أن يكون المخبر به عنده علمٌ أو ظَنّ به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السّابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام، أهمّها[4]: الاسترحام والاستعطاف، وإظهار الأسف والحسرة على فائت، وتحريكُ الهمّة إلى ما يلزم تحصيله، وإظهار الضّعف والخشوع، وإظهار التّحسر على شيء محبوب، وإظهار الفرح بمقبل - والشّماتة بمدبر، والتّوبيخ،

---

1 - المرجع السابق، ص: 55. والمرجع السابق، 6/2.

2 - المراغي: علوم البلاغة؛ ص: 43.

3 - الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 55. والمراغي: علوم البلاغة، ص: 43. وعبد العزيز عتيق (ت: 1396 ه): علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1430 ه - 2009 م، ص: 50 وما بعدها. ومحمد أحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 269. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، ص: 173.

4 - ينظر - محمد أحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 271 . وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، ص: 173. والهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 56، والمراغي: علوم البلاغة، ص: 43. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 64 وما بعدها. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، ص: 173.

والتَّذكير بما بين المراتب من التَّفاوت، والوعظ والإرشاد، الحث على السّعي والجدّ، التّحذير، الفخر، المدح، وقد يجيء لأغراض أخرى - والمرجع في معرفة ذلك إلى السّياق والذّوق والعقل السّليم.

وأمّا في كيفية إلقاء المتكلّم الخبر للمخاطب فتختلف صوره في أساليب اللّغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاثة أحوال[1]:

أوّلا - أن يكون المخاطب خالي الذّهن من الخبر، غير متردّد فيه. ولا منكر له - وفي هذه الحال لا يؤكّد له الكلام، لعدم الحاجة إلى التّوكيد نحو قوله تعالى - «المال والبنون زينة الحياة الدّنيا». ويسمّى هذا الضرب من الخبر (ابتدائيّاً) ويستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالي الذّهن من مدلول الخبر فيتمكّن فيه لمصادفته إياه خاليّا.

ثانياً - أن يكون المخاطب متردّداً في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام المُلقى إليه تقوية للحكم، ليتمكّن من نفسه، ويطرح الخلاف وراء ظهره، نحو - إنّ الأمير منتصرٌ. ويسمّى هذا الضّرب من الخبر (طلبيّاً)، ويؤتى بالخبر من هذا الضّرب حين يكون المخاطب شاكًّا في مدلول الخبر، طالباً التّثبت من صدقه.

ثالثاً - أن يكون المخاطب منكراً للخبر الذي يراد إلقاؤه إليه، معتقداً خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكّد أو مؤكّدين أو أكثرَ، على حسب حاله من الإنكار، قوّة - وضعفاً نحو: إنّ أخاك قادمٌ - أو إنّه لقادم - أو والله إنّه لقادم أو لعمري: إنّ الحقّ يعلو ولا يُعلى عليه.

---

1 - المراغي: علوم البلاغة، ص: 49. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 52 وما بعدها، والهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 57، وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، ص: 178. وحامد عونى: المنهاج الواضح للبلاغة، 2/ 12 وما بعدها. ومحمد أحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 276.

ويسمّى هذا الضّرب من الخبر (إنكارّياً) ويؤتى بالخبر من هذا الضّرب حين يكون المخاطب مُنكرا، واعلم أنّه كما يكون التّأكيد في الإثبات، يكون في النّفيّ أيضاً، نحو: ما المقتصد بمفتقر، ونحو: والله ما المُستشير بنادم[1].

وفي هذه الحالات خرج الخبر على مقتضى الظّاهر، وقد يعدل أحيانا عن مقتضى الظّاهر، ويورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلاحظها المتكلّم، كتنزيل العالم بفائدة الخبر، منزلة الجاهلِ بذلك، وتنزيل خالي الذّهن منزلة السّائل المتردّد، وتنزيل غير المُنكر منزلة المنكر، وتنزيل المتردّد منزلة الخالي، وتنزيل المتُردّد منزلة المنكر، وتنزيل المنكر منزلة الخالي، وتنزيل المنكر منزلة المُتردّد، وينزل غير السّائل منزلة السّائل،.. وهكذا[2].

ولتوكيد الخبر أدوات كثيرة، وأشهرها إن، وأن، ولام الابتداء، وأحرف التّنبيه، ومنها «ألا وأمّا»، والقسم وأحرفه «الباء، والواو، والتّاء»، نونا التّوكيد الثّقيلة والخفيفة، ويؤكدان الفعل المضارع، ويؤكدان فعل الأمر، والحروف الزّائدة، ويدخل فيها كلّ حرف إذا حذف لم ينقص شيء من المعنى المراد، فإيجاده في الكلام يكون لغرض التّوكيد، وهي: «إن» المكسورة الهمزة السّاكنة النّون، و «أن» المفتوحة الهمزة السّاكنة النّون، و«ما»، و«لا»، و«من» و«الباء»، الجارتان و(كتفعل واستفعل)» والتّكرار، وتكرار النّفي، وأمّا الشّرطيّة، وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، والسّين وسوف، وقد، وإنّما، وأنّما، واسميّة الجملة، وضمير الفصل، وهو عادة ضمير رفع منفصل، ويؤتى به للفصل بين الخبر والصّفة، نحو

1 – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 58.

2 – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 58. وما بعدها، وأحمد بن مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 49 وما بعدها. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 60 وما بعدها. وينظر – حامد عونى: المنهاج الواضح للبلاغة، 2/ 14 وما بعدها. ومحمد أحمد قاسم: علوم البلاغة، ص: 280 وما بعدها. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، ص: 183 وما بعدها.

«محمّد هو النّبيّ»، وتقديم الفاعل المعنويّ، وهذه المؤكّدات وغيرها ممّا لم نذكره، محكومة بغاية المتكلّم وحال المتلقّي[1].

وقبل أن ننتقل للأسلوب الإنشائي لا بأس أن ننبّه على أنّ علماء المعاني تكلموا عن الجملة بنوعيها (الاسميّة والفعليّة) في مبحث الخبر لتعلّقهما بتحديد نوعيّة الجملة وضروبها، ولا نريد أنّ نتكلّم عنهما هنا من الجانب النّحويّ، وإنّما سنتحدث عنهما من جانب البلاغيّ، مع أنّهما يتقاربان ويكمّل بعضهما بعضا، فعلم النّحو وعلم المعاني ينطلقان من الجملة، وإذا كان علم النّحو يبدأ بالمفردة وينتهي بالجملة، فعلم المعاني يبدأ بالجملة ويتعدّاها لعلاقتها مع الجمل الأخرى في السّياق التي هي فيه[2].

2 – الأسلوب الإنشائيّ

الإنشاء: كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، نحو اغفر وارحم، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب، وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء: «وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقّق إلّا إذا تلفظت به»[3].

وذلك لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النّطق به وجود خارجيّ يطابقه أو لا يطابقه[4].

فطلب الفعل في «افعل» وطلب الكفّ في «لا تفعل» وطلب المحبوب في «التّمنّي» وطلب الفهم في «الاستفهام» وطلب الإقبال في «النّداء» كلّ ذلك ما

---

1 – ينظر – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 58. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 55 وما بعدها. والمراغي: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع؛ ص: 49.

2 – ينظر – تمام حسّان: الأصول، ص: 310.

3 – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 69.

4 – ينظر – عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 69.

حصل إلّا بنفس الصّيغ المتلفّظ بها[1]؛ وإلّا فإنّ كلّ أسلوب إنشائيّ يستلزم خبرا يحتمل الصّدق والكذب، وإنّما المقصود والمنظور إليه هو ذات الأسلوب الإنشائيّ، وبذلك يكون عدم احتمال الإنشاء الصّدق والكذب إنّما هو بالنّظر إلى ذات الإنشاء[2].

وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبيّ – وإنشاء غير طلبيّ، «فالإنشاء غير الطّلبيّ» ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب- ويكون: بصيغ المدح، والذّم، وصيغ العقود، والقسم، والتّعجب والرّجاء، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ، وكم الخبريّة[3].

والإنشاء غير الطّلبيّ لا تبحث عند علماء البلاغة، لأنّ أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء. وإنّما المبحوث عنه في علم المعاني هو (الإنشاء الطّلبيّ) لما يمتاز به من لطائف بلاغيّة ما ليس في القسم الثّاني[4].

«فالإنشاء الطّلبيّ» هو الذي يستدعى مطلوباً غير حاصلٍ في اعتقاد المتكلّم وقت الطّلب. وأنواعه خمسة، الأمر، والنّهيّ، والاستفهام، والتّمني، والنّداء[5].

فالأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء، مع الإلزام – وله أربع صيغ: فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النّائب على فعل الأمر، وقد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والإلزام) إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن

1 – ينظر – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 69. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 223.
2 – ينظر – عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 70.
3 – ينظر – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 69. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 223.
4 – ينظر – المرجع نفسه، ص: 69. والمراغي: علوم البلاغة، ص: 61.
5 – ينظر – المرجع نفسه، ص: 70، والمرجع نفسه، ص: 61.

الأحوال[1].

ومن تلكم المعاني: الدّعاء، والالتماس، والإرشاد، والتّهديد، والتّعجيز، والإباحة، والتّسوية، والإكرام، والامتنان، والإهانة، والدّوام، والتّمني، والاعتبار، والإذن، والتّكوين، والتّخيير، والتّأديب، والتّعجب. إلى غير ذلك من معان[2].

والنّهيّ: هو طلب الكفّ عن الشّيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا النّاهية: كقوله تعالى «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً» وقد تخرج هذه الصّيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال[3].

ومن تلكم المعاني: الدّعاء، والالتماس، والإرشاد، والدّوام، وبيان العاقبة، والتّمني، والتّهديد، والكراهة، والتّوبيخ، والائتناس، والتّحقير. إلى غير ذلك من معان[4].

والاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية – وهي: الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيّان، وكيف، وأين، وأنّى، وكم، وأيّ.

---

1 – ينظر – المراغي: علوم البلاغة، ص: 75. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 75 وما بعدها. والهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 71. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 228.

2 – ينظر – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 71 وما بعدها. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 231. والمراغي: علوم البلاغة، ص: 75 وما بعدها. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 77 وما بعدها.

3 – ينظر – المرجع نفسه، ص: 76. والمرجع نفسه، 1/ 228. و المرجع نفسه، ص: 79. والمرجع نفسه، ص: 83 .

4 – ينظر – المرجع نفسه، ص: 76. وما بعدها. المرجع نفسه، 1/ 231. و المرجع نفسه، ص: 79 وما بعدها. المرجع نفسه، ص: 84 وما بعدها.

وتقسّم بحسب الطّلب إلى ثلاثة أقسام[1]:

(أ) ما يطلب به التّصوّر تارة، والتّصديق تارة أخرى، وهو – الهمزة.

(ب) وما يطلب به التّصديق فقط، وهو – هل.

(ج) وما يطلب به التّصور فقط، وهو بقية ألفاظ الاستفهام.

والتّمني: هو طلب الشّيء المحبوب الذي لا يُرجى، ولا يتوقَّع حصوله، إمّا لكونه مستحيلا، وإمّا لكونه ممكناً غير مطموع في نيله، وإذا كان الأمرُ المحبوبُ ممّا يرجى حصوله كان طلبه ترجياً، ويعبّر فيه «بعسى، ولعل» وقد تستعمل في التّرجي «ليت» لغرض بلاغيّ، وللتّمنّي أربع أدوات، واحدةٌ أصلية – وهي «ليتَ» وثلاث غيرُ أصلية نائبة عنها – ويتمنّى بها لغرض بلاغيّ، وهي: هل، ولو، ولعلَّ[2].

والنِّداء: هو طلبُ المتكَلّم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء؛ وأدواته ثمان: أ، أي، آ، يا، آي، أيَا، هيا، وا.

وهي في كيفية الاستعمال نوعان: الهمزة وأيّ: لنداء القريب، وباقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد يُنزلُ البعيد منزلة القريب – فينادي بالهمزة وأي، إشارةً إلى أنّه لشدّة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب، وكأنّه ماثلٌ

1 – ينظر – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 78 وما بعدها وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 258. والمراغي: علوم البلاغة، ص: 64. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص:88 وما بعدها.

2 – ينظر – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 87 وما بعدها وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 251. والمراغي: علوم البلاغة، ص: 262. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص:111 وما بعدها.

أمامَ العين، وقد يُنزل القريب منزلة البعيد – فينادَى بغير «الهمزة، وأي»[1].

وكثيرا ما تحذف أداة النّداء، فتكون مقدّرة ذهنا، والأداة التي تقدّر عند الحذف هي: "يا" فيما ذكر النّحاة[2].

وقد تخرج ألفاظ النّداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السِّياق بمعونة القرائن ومن أهمّ ذلك: الإغراء، والاستغاثة، والنّدبة، والتّعجّب، والزّجر، والتّحسُّر والتَّوجُّع، والتَّذكر، والتّحيُّر والتّضجُّر، والاختصاص[3].

وبعد هذه البسطة النّظريّة، لأهمّ مسائل هذا العنصر والتي سينبني عليها ما هو آت؛ ندخل الآن في الجانب التّطبيقيّ لتشكّل الأسلوب البلاغيّ للأمثال، بحيث نتناول أقسام المثل الثّلاثة متتالية، الظّاهر، ثمّ الكامن، ثمّ السّائر.

1 – ينظر – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 89 وما بعدها وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 241. والمراغي: علوم البلاغة، ص: 89. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص:114 وما بعدها.

2 – ينظر – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 242.

3 – ينظر – المرجع نفسه، ص: 90 وما بعدها، والمرجع نفسه، 1/ 251. والمرجع نفسه، ص: 82. والمرجع نفسه، ص:117 وما بعدها.

ثالثا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل القرآنيّ الظّاهر

ونتناول فيه العناصر التّالية:

1 – الأسلوب الإخباريّ

أ – الجمل الفعليّة

ب – الجمل الاسميّة

ج – التّناوب بين الجمل

د – الشّرط

2 – الأسلوب الإنشائيّ

أ – الأمر

ب – النّهيّ

ج – الاستفهام

د – النّداء

ه – التّمنّي

توطئة

بناء على ما سبق في بيان أنواع المثل القرآنيّ نبدأ بدراسة النّوع الأوّل الذي هو الأمثال الظّاهرة (المصرّحة)، ولا بأس أن نذكر طرفا منها قبل بداية دراستها قصد بيانها ومعرفتها. منها:

– قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (البقرة: 14، 18).

– وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 170، 171).

– وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة:214).

– وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:261).

– وقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة:264).

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة:265).

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران:59).

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:116، 117).

- وقوله تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:122).

- وقوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف: 175 - 178).

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا

مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (هود: 18 - 24).

- وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم: 24 - 26).

- وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النحل: 57 - 60).

- وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: 112).

- وقوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (الكهف: 32 – 44).

فهذه بعض الأمثال الظّاهرة، وهناك غيرها مثل الآيات التّالية:

سورة الحج، الآيات: 73، 74. /سورة النور، الآيات: 35، 36./ سورة العنكبوت، الآيات: 41 – 43. /سورة الروم، الآيات: 28 – 29. /سورة يس، الآيات: 13 – 29./ سورة الزخرف، الآيات: 59 – 60./ سورة التحريم، الآيات: 11، 12. /سورة محمد، الآيات: 1 – 3./ سورة يونس، الآية: 24. / سورة الرعد، الآية: 17./ سورة الرعد، الآية: 35. / سورة إبراهيم، الآية: 18./ سورة إبراهيم، الآية: 26./ سورة النحل، الآية: 75./ سورة النحل، الآية: 76./ سورة الكهف، الآية: 45. /سورة الروم، الآية: 27./ سورة الزمر، الآية: 29. /سورة الزخرف، الآية: 8. /سورة الزخرف، الآية: 56. /سورة محمد، الآية: 15. /سورة الفتح، الآية: 29. /سورة الحديد، الآية: 20./ سورة الحشر، الآية: 15./ سورة الحشر، الآية: 16. /سورة الحشر، الآية: 21. /سورة الجمعة، الآية: 5. /سورة التحريم، الآية: 10.

فهذه جملة أو أغلب الأمثال القرآنيّة الظّاهرة (المصرّحة) المصرّح فيها بلفظ المثل سواء التي ذكرناها أم التي أشرنا لمكانها في القرآن الكريم، والتي ستكون مادّة دراستنا في هذا النّوع القرآنيّ، وقد اعتمدنا في هذا على كتاب المدهش لابن الجوزيّ.

ونبدأ في دراستها بالأسلوب الإخباريّ، ثمّ نتعرّض بعده للأسلوب الإنشائيّ.

1 – الأسلوب الإخباريّ

عندما نلقي نظرة فاحصة على أسلوب المثل الظّاهر في القرآن الكريم فإنّنا نجد غالبيّتها أو معظمها خبريّة، سواء وردت دون مؤكّد أو بالمؤكّد، وسواء وردت جملا فعليّة أو جملا اسميّة.

أ – الجمل الفعليّة

من ذلك على سبيل المثال، ما ورد جملا فعليّة، جاءت ابتداء من غير تأكيد، كقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل: 57 – 60).

فبدأت الجملة المثليّة بالفعل المضارع (يَجْعَلُونَ) ومن غير مؤكّد، والغرض منه الاعتبار والامتنان لبيان سوء أفعال المشركين وحكمهم.

وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: 75).

بدأت بالفعل الماضي (ضَرَبَ) ومن غير مؤكّد، والغرض منه التّوبيخ والتّقريع على فساد نظرهم، بتركيزهم على مورد الحياة، ورزق النّاس، وعلى ما يتوجّه سعيهم إليه، واهتمامهم به، فهذه الأصنام لا تملك توفير الرّزق لعبدتها، وكلّ ذلك بيد الله وحده.

ومثلها في الابتداء بالفعل، قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ

وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: 76).

وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (النحل: 112، 113).

وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (الروم: 28 – 29).

وقوله تعالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الزخرف: 8).

وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾ (الزخرف: 56).

وقوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد: 17).

فهذه مجموعة من الأمثال الظّاهرة كما نرى وردت ابتداء جملا فعليّة، جاءت من غير مؤكّد، وقد أُريد بها مجرّد الإخبار، وهذا هو الأصل في بناء الجملة في اللّسان العربيّ، خالية ممّا يدلّ على إرادة تأكيد النّسبة فيها[1].

وهذا يتناسب دلاليا مع الحكمة من ضرب الأمثال ابتداء، فهي تعرض جملة من الحقائق والتّصورات والأفكار، وما فيها من أغراض وموضوعات مختلفة – كما نلاحظه في هذه الأمثال – تعالج وترسّخ قضايا كليّة ضمن البنيّة الكليّة للخطاب

1 – ينظر – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 186.

القرآنيّ، فتعتبر الأمثال واحدة من أساليبه في هذا الشّأن، وعليه إن وردت من غير تأكيد فهي قد وردت على الأصل المعمول به في اللّسان العربيّ الذي نزل به القرآن الكريم، وفي غالبها ترد في سياقات ليس فيها ما يستدعي التّوكيد، كحال المعاند أو المنكر أو المتردّد.. فهي جاءت بداية لخالي الذّهن لعدم الحاجة إلى التّوكيد، وتندرج ضمن الغرض العامّ للقرآن الكريم. (ويسمّى هذا الضّرب من الخبر "ابتدائيّاً" ويستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالي الذّهن من مدلول الخبر فيتمكّن فيه لمصادفته إيّاه خاليا) [1].

ب – الجمل الاسميّة

ومن الجمل الاسميّة، التي جاءت ابتداء من غير تأكيد، إلّا ما تحمله الاسميّة من تأكيد في ذاتها، قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور: 35، 36).

فنرى بأنّ المثل بدأ باسم الجلالة (اللَّهُ) ومن غير مؤكّد، إلاّ ما في الجملة الاسميّة من مؤكّد في ذاتها كما سبق وأن أشرنا، والغرض منه الامتنان، بمعنى: أنّ الله هو مكوّن أصول الهداية العامّة والمعارف الحقّ للنّاس كلّهم بإرسال رسوله بالهدى ودين الحقّ، مع ما في هذا الامتنان من الإعلام بعظمة الله تعالى ومجده وعموم علمه وقدرته.

ومثل ذلك في قوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ

1 – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 58.

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: 29).

بدأت الجملة بالاسم الظّاهر (مُحَمَّدٌ) ودون مؤكّد، إلّا مؤكّد الجملة الاسميّة. والغرض منه التّنويه شأن الرّسول ﷺ والثّناء على المؤمنين الذين معه.

ومثلها قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 261).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: 265).

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (إبراهيم: 18).

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت: 41 – 43).

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد: 15).

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (الرعد: 35).

فهذه أمثلة عن الجمل الاسميّة الخبريّة، التي وردت ابتداء من غير مؤكّد، مثلها مثل الجمل الفعليّة، مع فارق يحمله الاسم ولا يحمله الفعل، وهو التّأكيد، والغرض منه هو إثبات القضايا المطروحة، بالحجّة والبرهان، وتشبيه المحسوس بالملموس، وتشبيه المعقول بالمحسوس.. وإبعاد الظّن المحتمل في نفوس المتلقّين، باستعمال إمكانات اللّغة المختلفة، والتي منها الخبر ومؤكّداته، ومنه الجملة الاسميّة، باعتبار المخاطب متردّداً في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته.

لأنّ الجمل التي تبدأ بالاسم تكون أوكد في الثّبوت بأصل وضعها من الجمل التي تبدأ بالفعل التي تدلّ على مجرد الحدوث، ولا تخرج الاسميّة عن أصلها إلّا إذا كان خبرها فعلا فإنّها تكون كالجملة الفعليّة في إفادة التّجدد والحدوث في زمن مخصوص، وفي هذا الشّأن قال علماء المعاني: أنّ الجملة الاسميّة وحدها: آكد من الخطاب بالجملة الفعليّة، فإذا أريد مجرد الأخبار أتى بالفعليّة[1].

يقول عبد الرّحمن حبنكة الميدانيّ: «والسّبب في كون الجملة الاسميّة تحمل تأكيدا لا تحمله الجملة الفعليّة، أنّ خبر الجملة الاسميّة يحمل في التّقدير الذي يلاحظ في ذهن العربيّ ضميرا يعود على المبتدأ، أو ما أصله المبتدأ، فيكون حال الجملة الاسميّة دواما مثل حال تقديم ما هو فاعل في المعنى على فعله، قد جرى فيها الإسناد إلى المسند إليه مرّتين: الأولى: إسناده إلى الاسم الظّاهر. الثّانية: إسناده إلى ضميره»[2].

وهناك من الأمثال ما بدأت بالمؤكّدات، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى

1 – ينظر – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 57 على الهامش. وأحمد بن مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 52.

2 – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 187.

إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: 24).

فالمثل جاء جملة اسميّة مؤكّدة بـ (إِنَّمَا) أي اجتمع مؤكّدان (إنّ) و(ما) الزّائدة للتّأكيد، ويضاف إليهما اسميّة الجملة، وسيأتي الحديث عن (إِنَّمَا) لاحقا. والغرض من هذا الاعتبار لبيان حقيقة الحياة الدّنيا وما فيها من متاع زائل.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الزخرف:59) جملة خبرية اسمية جاءت مؤكدة بـ (إِنْ) الزّائدة النّافية، الغرض منها التّأكيد، وهي بمعنى (ما)، أي: ما هو إلّا عبد، فالسّياق يفرض نفي الألوهيّة على عيسى واثبات العبودية له، لذا يتطلّب مثل هذا التّأكيد.

فكما نرى قد اشتملت الجملة على مؤكّدين (إِنْ + اسميّة الجملة) ثمّ دُعِّمَت بمؤكّد معنويّ ثالث؛ وهو تقديم المبتدأ الذي جاء بضمير المخاطب المذكّر المفرد الغائب المحصور بعلامة القصر (إِلَّا) وذلك قصد تثبيت العبوديّة لعيسى عليه السّلام، وأنّه عبد أنعم الله عليه بالرّسالة، وجعله آية على كمال قدرة الله، وليس ربًّا ولا إلهًا كما يزعم من غال فيه من النّصارى، وأنكر أنّه عبد لله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59)، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 116، 117).

فنلحظ أنّ المثلين وردا بصيغة جملة خبريّة اسميّة مؤكّدة بـ (إِنْ) الزّائدة النّافية و(إِنَّ) وهي من الأحرف المشبّهة بالفعل، لأنّها تعمل فيما بعدها شبيه عمل الفعل

فيما بعده، وتدخل على الجمل الاسميّة فتنصب المبتدأ الذي لا يلزم الصّدارة دائما، ويسمّى اسمها، وترفع الخبر غير الطّلبي والإنشائيّ، ويسمّى خبرها، وتفيد تأكيد النّسبة بين اسمها وخبرها[1]، ووظيفتها التّأكيد لمضمون الجملة أو الخبر، فإنّ قولك: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى» أو «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» ناب مناب تكرير الجملة مرتين... وهذا الإيجاز أو الاقتصاد في ألفاظ الجملة مع حصول الغرض من التّوكيد؛ هو الذي يُعطي مِثْل هذه الجملة قيمتها البلاغيّة، على أساس أنّ البلاغة هي الإيجاز[2].

ويسمّى هذا الضّرب من الخبر (طلبيّاً) ويؤتى بالخبر من هذا الضّرب حين يكون المخاطَب شاكًّا في مدلول الخبر، طالباً التّثبت من صدقه[3]. مثل ما هو الحال في قضية خلق عيسى عليه السّلام.

ولكن عندما نضيف له المؤكّد الثّاني الذي هو الجملة الاسميّة التي تعتبر مؤكّدا في ذاتها يصير في عداد الإنكاريّ، ويؤتى به حين يكون المخاطب مُنكرا[4]، أو ينزل منزلة المنكر، وذلك لتأكيد الكلام المُلقى قصد تقوية الحكم، ليتمكّن من النّفس، ويطرح الخلاف والشّك، وما هو متوقّع من الظّن وراء الظّهر.

ج – التّناوب بين الجمل

ومع هذا التّنوع في الجمل بين الاسميّة والفعليّة في المثل الظّاهر، والتّنوع – كذلك – في البداية بالمؤكّد وعدمه، فإنّه مع جانب الطّول النّسبيّ فيه نجد بنية المثل كاملة يتخلّلها العديد من الجمل، فقد تكون بداية المثل بالجملة الاسميّة – مؤكّدة أو غير مؤكدة – ولكن يتخلّلها بعد ذلك الجمل بنوعيها الاسميّة والفعليّة، وهكذا تماما مع الجمل الفعليّة، تكون بداية المثل فعليّة، وفي ثناياه تكون جملا فعليّة وأخرى اسميّة.

---

1 – ينظر – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 57.

2 – ينظر – عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص: 55.

3 – ينظر – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 57.

4 – ينظر – المرجع نفسه، ص: 58.

وهذا الكلام يسوقنا إلى القول بتنوع الأسلوب البلاغيّ في المثل الواحد حسب الجمل وتنوّعها، كما أنّه تتنوّع فيه المؤكّدات وتتغيّر وتتكرّر حسب المثل، ولعلنا نعطي نموذجين على ذلك يتّضح بهما الكلام:

المثل الأوّل، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: 14 – 18).

فنرى هنا بأنّ توجيه الخطاب كان بالجملة الفعليّة، ثمّ جاءت بعدها جملة فعليّة في قوله: "آمَنَّا" التي يراد به الإخبار بمطلق العمل مقرونا بالزّمان من غير أن يكون هناك مبالغة وتوكيد، وإتيانه بعدها بالجملة الاسميّة "إِنَّا مَعَكُمْ" دلالة على المبالغة والتّأكيد في المقصود.

والغرض البلاغيّ من هذا التّنوع الأسلوبيّ بين الجملة الفعليّة غير المؤكّدة والجملة الاسميّة المؤكّدة، هو إظهار صدق الرّغبة في الحكم وقصد ترويجه، فلم يؤكّدوا في خطاب المؤمنين؛ واكتفوا بالفعل "آمَنَّا" لعدم رواجه عندهم ومنهم، وأكّدوا في خطاب إخوانهم "إِنَّا مَعَكُمْ"؛ لصدق رغبتهم فيهم[1].

بمعنى أنّهم (خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعليّة، وشياطينهم بالجملة الاسميّة المحقّقة بـ "إنّ" المشدّدة، وإنّما كان الأمر كذلك لأنّهم في خطابهم لإخوانهم مخبرون عن أنفسهم بالثّبات والتّصميم على اعتقاد الكفر مصرّون على التّمادي في الجحود والإنكار، فلهذا وجّهوه بالجملة المؤكّدة الاسميّة بخلاف خطابهم للمؤمنين، فإنّما كان عن تكلّف وإظهار للإيمان، خوفا ومداجاة من غير عزم عليه، ولا شرح

1 – ينظر – عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (على الهامش)،1/ 49.

صدورهم به)[1].

يقول محمّد أبو موسى: «فقد لوحظ فتور العبارة في قولهم للمؤمنين: "آمنا"، ووثاقتها في قولهم لإخوانهم: "إنّا معكم"، وفسّر ذلك في ضوء ضعف الاعتقاد في الأولى، وقوته في الثّانية، قال في ذلك: "فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعليّة، وشياطينهم بالاسميّة محقّقة بإنّ؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرًا بأقوى الكلامين وأوكدهما؛ لأنّهم في ادّعاء حدوث الإيمان منهم، ومنشئه من قبلهم لا في ادّعاء أنّهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إمّا؛ لأنّ أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كلّ قول لم يصدر عن أريحية، وصدق رغبة واعتقاد، وإمّا؛ لأنّه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التّوكيد والمبالغة، وكيف يقولون ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين، والأنصار الذين مثلهم في التّوراة والإنجيل، ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين: (رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا) وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثّبات على اليهوديّة، والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد عن أن يزالوا عنه، على صدق رغبة، ووفور نشاط وارتياح للتكلّم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبّل منهم، فكان مظنّة للتّحقيق، وقد سبق ابن جني بإشارة نافذة في هذا الباب، فذكر أنّ التّوكيد قد يكون مرجعة إلى اهتمام المتكلّم بالمعنى، وأنّه مستعظم له وأنّه يريد أن ينقله إلى سامعه كما يجده في نفسه»[2].

ثمّ يقول: «وقد ذكرنا هذه الآية في أضرب الخبر، وأشرنا فيها إلى كلام الزّمخشريّ، الذي فسّر عدم التّوكيد في الجملة الأولى بعدم وجود العزم، والإصرار وغير ذلك من المعاني النّفسيّة التي تكون وراء التّوكيد، فليس وراء كلامهم

1 – العلويّ: الطراز، 2/ 16. والرفاعي: أساليب بلاغية، ص: 141.

2 – محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص: 93.

للمؤمنين حقيقة نفسيّة صادقة تدفع، وتحرّك وتبعث، وقد وجدت هذه الحقيقة النّفسيّة عند مخاطبة إخوانهم، وقولهم: إنّا آمنا»[1].

كما ترى جملة (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) مؤكّدة بـ "إِنَّمَا" مع ضمير الفصل (نحن) وفي ذات الوقت جاءت مؤكِّدة لجملة (إِنَّا مَعَكُمْ)؛ لأنّهم ما داموا مستهزئين بالإسلام وأهله فهم مستمرّون في معيّة شياطينهم، وهنا تكمن قيمة هذا الإجراء الأسلوبي للمُؤَكِدَيْن "إن" و"إنّما" بالتّتالي في مثل هذه المواضع؛ فالمؤكّد "إن" قد يكون وروده – أيضا – توكيدا للإشارة إلى مجيء الخبر على خلاف ظنّ المتكلّم، فكأنّ نفس المتكلّم تستبعد الخبر وتنكره، فيؤكّده لها، وما يسند ذلك ورود ضمير الفصل (نحن) العائد على جماعة المتكلّمين، يقول عبد القاهر في (الدّلائل) قد تدخل كلمة: «"إن" للدّلالة على أنّ الظّن كان من المتكلّم في الذي كان أنّه لا يكون، كقولك للشّيء هو بمرأى ومسمع من المخاطب: إنّه كان من الأمر ما ترى، وكان منّي إلى فلان إحسان ومعروف، ثمّ إنّه جعل جزائي ما رأيت، فتجعله كأنّك تردّ على نفسك ظنّك الذي ظننت، وتبيّن الخطأ الذي توهّمت»[2].

كما أنّ ورود المؤكّد (إنّما) مع التّركيب النّحويّ الخبريّ الاسميّ زاد في التّعبير عن حاجات المتكلّمين لغرض إيصالها إلى المتلقّين ممّن هم معهم، وهذا الاجتماع بين (إنَّ وما) ودخوله على التّركيب الاسميّ، يجعل من الكلام المركّب منها ومن التّركيب الاسميّ إجمالا يتلوه تفصيل. وذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ تلاه التفصيل في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

والمثل الثّاني، قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا

1 – المرجع السابق، ص: 301.

2 – الجرجاني: دلائل الإعجاز،1/ 327.

الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ... فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: 13 – 29).

نرى بداية أنّ المثل بدأ بجملة فعليّة في صيغة الأمر، وهذا يُحسب ابتداء في الأسلوب الإنشائيّ تحت "الأمر"، ولكن فيه عدول من الإنشاء إلى الخبر، وبالتّالي كان الأمر لرسول الله بعرض الخبر الذي يراد إيصاله لقومه، وقد ورد بمجموعة من المؤكّدات، في طيّات المثل، يقول عبد الرّحمان حبنكة الميدانيّ: «ففي ابتداء الأمر عرض الرّسولان على أصحاب هذه القرية أنّهما رسولان يبلّغان تعاليم الدّين، فكان بيانهما من قبيل الإخبار الابتدائيّ غير المقرون بمؤكّدات لفظيّة.

فلمّا كذّبهما القوم عزّزهما الله برسول ثالث، وقالوا لهم: (إنّآ إليكم مرسلون) فجاء الإخبار مؤكّدا تأكيدا متوسّطا، لأنّ إنكار القوم كان في بدايته.

والتّأكيد في هذه الجملة الخبريّة قد جاء بحرف التّأكيد "إن" ويمكن أن نفهم من تقديم (إليكم) على عامله (مرسلون) تأكيدا آخر، لأنّ فيه معنى القصر، أو زيادة الاهتمام، وكلاهما يفيد تأكيدا، والمؤكّد الثّالث كون الجملة جملة اسميّة.

ولمّا أصر القوم على تكذيب الرّسل الثّلاثة، زاد الرّسل جملتهم الخبريّة تأكيدا، فقالوا: (ربّنا يعلم إنّآ إليكم لمرسلون) . والمؤكّدات في هذه الجملة، هي:

(1) (ربّنا يعلم) فهذه العبارة بمثابة القسم.

(2) "إنّ" وهو حرف تأكيد.

(3) اللّام المزحلقة للخبر في عبارة (لمرسلون) .

(4) كون الجملة جملة اسميّة»[1].

يقول محمّد أبو موسى: «فإنّه لوحظ أنّ النّفس حين تتردّد تصير في حاجة إلى

1 – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 181 – 182.

قدر من التّوثيق، وإن كان الحكم على وفق ظنّها؛ لأنّ ما تظنّه وتمثل إليه هي أيضا في حاجة إلى توكيده، وهذا ملحظ نفسيّ دقيق، وسوف يتّضح من سياق الشّواهد، أمّا إذا كان المخاطب منكرا، فإنّه لا بدّ من التّوكيد، وهذا التّوكيد، يختلف قلّة وكثرة على وفق أحوال الإنكار، فإنّ كان إنكاره إنكارًا غير مستحكم في نفسه أكد بمؤكّد واحد، وإن كان مستحكمًا تضاعفت عناصر التّوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار؛ لأنّ وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النّفس الرّافضة له، فلا مفرّ من أن تكون قوّة العبارة، ووثاقتها ملائمة لحال النّفس قادرة على الإقناع، وخير شاهد يصوّر هذا الأصل النّفسيّ الدّقيق في بناء الأسلوب ، تلك الآية الكريمة التي تصف لنا حوار المرسلين مع أصحاب القرية، قال سبحانه: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ...) ترى خطاب الرّسل -عليهم السّلام- لأصحاب القرية مؤكّدا في الصّورة الأولى بأن واسميّة الجملة، وذلك؛ لأنّهم منكرون رسالتهم، كما يدلّ عليه قوله: فكذّبوهما، وقد ردّ أصحاب القرية كلام الرّسل بعد هذا الخطاب الأوّل بقولهم: (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) ، أي لستم رسلا؛ لأنّهم يعتقدون أنّ الرّسول لا يكون بشرا، وهو كما ترى أسلوب مؤكّد بالنّفي والاستثناء، ثمّ أردفوا ذلك بقولهم: (وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) ، وهذا تأكيد ثان لنفيّ الرّسالة عنهم بصورة أبلغ؛ لأنّهم في هذه الجملة الثّانية ينكرون أنّه الله أنزل شيئا عليهم وعلى غيرهم، ثمّ أردفوا ذلك بقولهم: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)، فوسموا رسل الله المكرمين بالكذب بهذا الأسلوب المؤكّد، فردّ الرّسل الكرام عليهم بعد هذا العناد، والإنكار والتّطاول بقولهم: (رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)، عادوا إلى القضيّة الأولى وكرّروها -وهذا ضرب من التّوكيد- ثمّ أضافوا إلى صياغتها ألوانا جديدة من التّوثيق، والتّوكيد فجاءت كما ترى مؤكّدة بإنّ واسمية الجملة، واللّام ومصدّرة بقولهم: (رَبُّنَا يَعْلَمُ) .

فقد وضح إذن كيف تتكاثر عناصر التّوكيد وفقا لتصاعد أحوال الإنكار في هذا الحوار القرآنيّ الخصب الذي يحتاج إلى تأمل، ومراجعة تكتشف فيه طبيعة العقليّة المعاندة؟ وكيف كانت تنحرف في حوارها عن طلب الحقيقة، ومنهج الاحتجاج القويم؟»[1].

ونختم الأسلوب الإخباريّ بالشّرط، وهو قليل في بداية المثل الظّاهر، بحيث لا يشكّل ظاهرة أسلوبيّة فيه، ولا يوجد إلّا في مثل أو مثلين سنقف عندهما، وهناك بعضها ورد في البنية التّركيبية للمثل كجملة من جمله، وهذا في مواضع متعدّدة، وبأدوات مختلفة، منها ما هو جازم، ومنها ما هو غير جازم، ويحمل معنى الشّرط.

د – الشّرط

الشَّرْط قَائِم على جملتين، الأولى جملة الشّرط، والثّانية جواب الشّرط، وهي مكمّلة للأولى، وبالتّالي يتوقّف تمام المعنى في الشّرط على ما يلزم عن الشّرط وهو الجواب، فالشّرط معلّق ذو طرفين لا يتمّ تحقّق أحدهما إلّا بتحقّق الآخر. ومن الأمثلة التي لوحظ فيها الشّرط في المثل الظّاهر ما يلي:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ...﴾ (الأعراف: 175 – 177).

الشرط في (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ)، «وَلَوْ» لو شرطية غير جازمة...«لَرَفَعْنَاهُ» فعل ماض وفاعله ومفعوله، واللّام واقعة في جواب الشّرط والجملة لا محل لها جواب شرط غير جازم[2]. وسيأتي الكلام عن لو الشرطية قريبا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى

1 – محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص: 81.

2 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 407.

شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: 76).

الشّرط في (أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ)، «أَيْنَما» اسم شرط غير جازم ظرف مكان متعلّق بما بعده. «لا يَأْتِ» لا نافية يأت مضارع مجزوم لأنّه جواب الشّرط[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ... وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ... هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: 13 – 29).

الشّرط في (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ)، «إِنْ» حرف شرط جازم ... «تُغْنِ» مضارع مجزوم لأنّه جواب الشّرط[2].

وكقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ... وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ... قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: 19، 20).

الشّرط في (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا)، (إذا) ظرف للمستقبل متضمّن معنى الشّرط متعلّق بالجواب قاموا[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ ...﴾ (النحل: 57 – 60).

الشرط في (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ)، «إذا» ظرف يتضمّن معنى الشّرط. «ظَلَّ» واسمها وخبرها جواب شرط غير جازم[4].

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ...﴾ (الحشر، الآية: 16).

---

1 – المرجع السابق، 2/ 168.

2 – المرجع نفسه، 3/ 91.

3 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 1/ 68.

4 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 2/ 163.

الشّرط في (فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ)، (لمَّا) ظرفيّة حينيّة أو رابطة متضمّنة معنى الشّرط. (قَالَ) جواب شرط غير جازم[1].

وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ ...﴾ (الرعد، الآية : 17).

الشّرط في (أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ)، (أمّا) حرف شرط وتفصيل. (الفاء) رابطة لجواب الشّرط[2]. وكذلك الشّرط في (أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ) وهي مثل التي قبلها (أمّا) حرف شرط وتفصيل (الفاء) رابطة لجواب الشّرط.

أمّا الأمثال التي بدأت بالشّرط ففي قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ... فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: 14 – 18).

الشّرط في (إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا)، وكذلك في (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا)، (إذا) في الموضعين ظرفيّة غير جازمة وجوابها، في الموضعين؛ هو: (قالُوا)[3]. وأداة الشّرط (إذا) يكون الشّرط فيها مقطوعا بوقوعه[4] وقد جيء بأداة الشّرط إذا لإفادة الاستمرار[5]، فهي تُستعمل بحسب أصلها في كلّ ما يقطعُ المتكلّمُ بوقوعه في المستقبل، ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها (الماضي) لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً[6].

وهذا النّوع من الإجراء الأسلوبيّ يعطي المثل قيمته الجماليّة، ويبيّن محاسنه الأسلوبيّة، فيقوم بتمكين ذلك المعنى في نفس المتلقّي؛ بحيث لا يخالجه فيه ريب،

---

1 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 10/ 52.

2 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن،13/ 112.

3 – ينظر – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 130، 131.

4 – ينظر – القزويني: لإيضاح في علوم البلاغة، 2/ 117.

5 – المراغي: علوم البلاغة، ص: 138.

6 – الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 151.

ولا يعتريه شكّ، بأنّ ما صدر منهم كثير الوقوع ومستمرّ وليس نادرا، فهم يدعون دائما لشياطينهم، وأنّ استهزاءهم بالمؤمنين من الأمور التي لا مجال للرّيب فيها، ولا تكون مبعثا لسوء ظنّ شياطينهم فيهم.

والمثل الثّاني الذي بدأ بالشّرط قوله تعالى:﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:21).

الشّرط في قوله: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ)، فـ «لَوْ» شرطيّة غير جازمة. «لَرَأَيْتَهُ» اللّام رابطة، وماض وفاعله ومفعوله والجملة جواب الشّرط لا محلّ لها[1].

والمعنى أنّه لو جعل في الجبل عقلا كما جعل فيكم، ثمّ أنزل عليه القرآن لخشع وخضع وتشقّق من خشية الله[2]. مع صلابته ورزانته، حذرا من أن لا يؤدّي حقّ الله عزّ وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عمّا فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون[3]. والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلّة تخشّعه عند تلاوة القرآن وتدبّر قوارعه وزواجره[4].

فهذا الأسلوب الخبريّ الذي ورد بصيغة الشّرط باستخدام كلمة (لو) جعل صفة التّصدع للجبل ممكنة ومحتملة وغير مستحيلة، وهذا النّوع من الأسلوب يذهب بعيداً بالمعنى وما ينتج عنه من تأثيرات وانفعالات، فضرب المثل بالتّصدع يوحي بشدّة الانفعال والتّأثر، لأنّ منتهى تأثّر الأجسام الصّلبة أنّ تتشقّق وتتصدّع، مع أنّه لا يحصل لها ذلك بسهولة ويسر، ولكن القرآن لِمَا له من تأثير قويّ وبالغ

1 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن،3/ 330.

2 – الرازي: مفاتيح الغيب، 29/ 512.

3 – البغوي: معالم التنزيل، 5/ 66.

4 – الزمخشري: الكشاف، 4/ 509.

الأثر لو أدركت معناه الحجارة الصّماء وعقلت فحواه؛ لتأثّرت وخشعت، ثمّ تصدّعت وتشقّقت من فرط ما فيه من التّخويف بالله تعالى.

كلّ هذا يعطينا صورة مفادها أنّ الأسلوب الخبريّ في المثل القرآنيّ الظّاهر متنوّع في بنيته الأسلوبيّة؛ من حيث نوع الجملة، ومن حيث نوع المؤكّدات، ومن حيث قلّتها وكثرتها، وهذا يرجع للطّول النّسبي لعموم المثل الظّاهر من جهة، ما جعل بنيته تتكوّن من العديد من الجمل، التي نراها صبغت بألوان مختلفة من الأخبار، ومن جهة أخرى لما يحمله المثل من موضوعات وقضايا مختلفة وأساسيّة، كالإيمان والكفر، والتّوحيد والشّرك، والحياة الدّنيا والآخرة والمقارنة بينهما، والبعث والجزاء، وأحوال الأمم الغابرة، وتصنيف النّاس إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين وأهل كتاب، ومحاورة أقوام الرّسل، ومخاطبة المؤمنين، وبثّ روح النّصيحة والموعظة والاستذكار... وهذه القضايا تختلف حولها أذهان المخاطبين بين الإنكار والتّردّد والشّكّ، وبين خلوّ الذّهن وعدم خلوّه، فكلّ هذا مع التّنوع يضيق به نوع واحد من الأسلوب، فكان لزاما من هذا الإجراء الأسلوبيّ في التّعدّد والتّغيّر ليتكفّل بهذه الموضوعات الكبيرة وغيرها، وتتّسع لها بنية المثل ويتحمّلها أسلوبه المتنوّع بعلاقاته وروابطه القائمة بين جمله، وما فيها من تعبير وتصوير وتمثيل، متفاعلة مع الأنساق الأسلوبيّة الأخرى في الخطاب القرآنيّ.

يقول محمود إسماعيل صيني: «إنّها أساليب متنوّعة الأداء، فمرّة هي أسلوب خبريّ، جملة اسميّة أو فعليّة، ومرّة هي أسلوب إنشائيّ فيه الاستفهام أو التّعجب أو الأمر أو النّهي»[1].

1 – محمود إسماعيل صيني وآخرون: معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1996، ص: س.

2 – الأسلوب الإنشائيّ

وبعد حديثنا عن الأسلوب الإخباريّ وما تميّز به من جانب نفعيّ ظاهر تمثّل في توظيف اللّغة بجملتيها، وأنواع مؤكّداتها المختلفة، بغرض تقديم الخبر في قالب معيّن يتناسب وحال المتلقّين، ننتقل إلى الحديث عن الأسلوب الإنشائيّ وما يتميّز به من جانب إبداعيّ انفعاليّ عاطفيّ تأثيريّ، يرتكز على استخدام أدوات خاصّة وصيغ معيّنة تُبنى عليها عناصرُه، فيُضفي على الأنساق التّعبيريّة حيويّة ونشاطا، فينعكس تأثيرها إيجابا على مدركات المتلقّي وأحاسيسه، فيندفع إلى المشاركة البناءة في إنتاج الدّلالة والتّفاعل معها، عن طريق الاستجابة المتوقّعة.

ولذا فعندما نلقي نظرة على الأمثال الظّاهرة نجد أنّ الابتداء بالأسلوب الإنشائيّ ليس هو الغالب عليها؛ بل الغالب هو الأسلوب الإخباريّ، ومع ذلك نلحظ هناك بعض الأمثال كانت بدايتها إنشائيّة، وإن حملت معنى الإخبار، كما مرّ بنا قبل قليل في التّناوب بين الجمل. ونبدأ بأسلوب الأمر.

أ – الأمر

من ذلك ما نلاحظه من أوامر في الأمثال التّالية:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: 175 – 177).

فهي – كما نرى – جملة فعليّة إنشائيّة بدأت بالأمر في قوله: (اتْلُ). فعل أمر مبني على حذف حرف العلّة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت[1].

1 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 407.

والغرض من هذا الإجراء الأسلوبيّ بعد العدول عن الأصل - أي عن (الإيجاب والإلزام) - هو الاتّعاظ والعبرة من حال هذا الرّجل صاحب القصّة الذي يُدعى بلعام بن عابر أو بلعام بن باعوراء الذي أخذ الله عليه العهد بالتّوحيد والامتثال لأمر الله، وأمدّه الله بعلم يعينه على الوفاء بما عاهد الله عليه في الفطرة، ثمّ لم ينفعه ذلك كلّه، فانسلخ من عهده، ولحقه الشّيطان وأدركه، وصار قرينا له، ومصغيا لوسوسته، فأصبح من الضّالين المكذّبين الغاوين الكافرين، لميله إلى الدّنيا ومتابعته للهوى والشّيطان، حين لم يقدّر الله له الهدى، وفي هذا تربية إيمانيّة صلبة، لا تتأثّر بإغراءات الحياة والمادّة والمال، وإنّما تظلّ وفيّة للمبدأ، مخلصة للعقيدة، دون أن تضعف أو تتردّد أو تنحرف أمام شهوات الدّنيا ومفاتنها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ... هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الكهف: 32 – 44).

فالمثل بدأ بالأسلوب الإنشائيّ المتمثّل في فعل الأمر (وَاضْرِبْ). فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت[1].

والغرض من هذا الأسلوب التّذكير والتّدبّر في العواقب، وقد جاء بإشارة واقعيّة حسيّة ذات تأثير بالغ، وعبرة عظيمة، قصد إيراد وتصوير المواقف، وتثبيت الإيمان أو غرسه في النّفوس المتواضعة، واستئصال الكفر وآثاره، من النّفوس المتكبّرة المعاندة.

وكذلك في قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (الكهف: 45).

بدأ المثل بالأسلوب الإنشائيّ المتمثّل في فعل الأمر (وَاضْرِبْ). والغرض منه

1 - مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 5/ 598.

الاعتبار؛ لأنّ المثل يدلّ على سرعة زوال الدّنيا وفنائها.

والجملة الإنشائيّة بصيغة الأمر في قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: 20).

ف (اعلموا) فعل أمر مبني على حذف النّون والواو فاعل وأن ما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي اعلموا أَنَّمَا هنا كافّة ومكفوفة[1].

والغرض منه – كذلك – الاعتبار لأنّ المثل يدلّ على سرعة زوال الدّنيا وفنائها، بجانب الآخرة ونعيمها. ولهذا كان (افتتاح الكلام بـ "اعلموا" يؤذن بأنّ ما سيلقى جدير بتوجّه الذّهن... وهو هنا يشير إلى أنّ الكلام الذي بعده مغزى عظيم غير ظاهر، وذلك أنّه أريد به تمثيل حال احتياج القلوب المؤمنة إلى ذكر الله بحال الأرض الميّتة في الحاجة إلى المطر، وحال الذّكر في تزكية النّفوس واستنارتها بحال الغيث في إحياء الأرض الجدبة)[2].

ب – النّهيّ

وعندما نتفحّص الأمثال الظّاهرة لا نجد فيها مثلا بدأ بالنّهي، بل لا يوجد حتّى في بنية التّركيب إلّا قوله: (لَا تُبْطِلُوا) الواردة في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 264).

ف: لا ناهية، وتبطلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل[3].

---

1 – المرجع السابق، 9/ 469.

2 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 27/ 393.

3 – ينظر – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 408.

وقد ورد هذا النّهي على غير معناه الحقيقيّ، الذي هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الإلزام، فقد جاء في سياق النّداء وخرج إلى النّصح والإرشاد، ويتمثّل في عدم إبطال الصّدقات بإذهاب أثرها وإفساد منفعتها، أي: لا تبطلوها بالمنّ والأذى أو بأحدهما[1].

والغرض منه – كما قلنا سابقا – هو التّنبيه والتّلطّف بالمؤمنين، كما أنّ فيه تعريض بأنّ الرّياء والمنّ والأذى على الإنفاق من صفات الكفّار ولا بدّ للمؤمن أن يجتنبها[2].

ج – الاستفهام

وعندما نقف مع صيغ الاستفهام من الأسلوب الإنشائيّ نلحظ بعض الأمثال قد بدأت بالاستفهام، وهي لا تعدوا الثّلاثة، وبعضها الآخر جاء في ثنايا التّركيب، ولكنّ الملاحظ عليها أنّها خرجت عن المعنى الحقيقي للاستفهام الذي هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وسيتّضح ما قلناه عند عرضها.

فمن الأمثال التي بدأت بالاستفهام؛ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: 24 – 25).

فنرى بأنّ المثل بدأ بجملة إنشائيّة استفهاميّة، وهي : (أَلَمْ تَرَ) الهمزة للاستفهام ولم حرف جازم «تَرَ» مضارع مجزوم بحذف حرف العلّة[3].

وهذا الاستفهام لا يراد به الحقيقة، بل عدل عنها لضروب أخرى، منها: التّقرير[4]. وهو كناية عن التّحريض على العلم بذلك[5]. ويكون كذلك للإنكار،

1 – ينظر – الشوكاني: فتح القدير، 1/ 327.

2 – ينظر – البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1/ 158.

3 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 2/ 131.

4 – ينظر – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 5/ 186.

5 – ينظر – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 13/ 223.

وذلك بتنزيل المخاطب منزلة من لم يعلم فأنكر عليه عدم العلم، أو هو مستعمل في التّعجيب؛ من عدم العلم بذلك مع أنّه مما تتوفّر الدّواعي على علمه[1]. ثمّ بعد هذا الاستفهام بالهمزة ويليها من الاستفهام بكيف. وإيثار كيف هنا للدّلالة على أنّ حالة ضرب هذا المثل ذات كيفيّة عجيبة من بلاغته وانطباقه[2].

والمثل الثّاني الذي بدأ بالاستفهام هو، قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 122).

الاستفهام في قوله: «أَوَمَنْ» الهمزة للاستفهام، الواو حرف عطف. من اسم موصول (بمعنى الذي)[3] مبني على السّكون في محل رفع مبتدأ[4]. وهو استفهام إنكاريّ[5].

يقول ابن عاشور: «مستعمل في إنكار تماثل الحالتين: فالحالة الأولى: حالة الذين أسلموا بعد أن كانوا مشركين، وهي المشبّهة بحال من كان ميّتا مودعا في ظلمات، فصار حيّا في نور واضح، وسار في الطّريق الموصلة للمطلوب بين النّاس، والحالة الثّانية: حالة المشرك وهي المشبّهة بحالة من هو في الظّلمات ليس بخارج منها، لأنّه في ظلمات»[6].

والمثل الثّالث الذي بدأ بالاستفهام هو، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى

---

1 – ينظر – المرجع السابق، 13/ 223.

2 – ينظر – المرجع نفسه، 13/ 223.

3 – العكبري: التبيان في إعراب القرآن، 1/ 536

4 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 332.

5 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 3/ 215.

6 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 8–أ/ 43.

رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ... مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود: 18 – 24).

الاستفهام في أوّل كلمة فيه «وَمَنْ» الواو مستأنفة، «مَنْ» اسم استفهام مبتدأ[1]. وهو (سؤال إنكار يؤول إلى معنى النفي، أي لا أحد أظلم)[2].

يقول الشّوكانيّ: «واللّفظ وإن كان لا يقتضي إلّا نفي وجود من هو أظلم منهم كما يفيده الاستفهام الإنكاريّ، فالمقام يفيد نفي المساوي لهم في الظّلم. فالمعنى على هذا: لا أحد مثلهم في الظّلم»[3].

وكما أشرنا فإنّ هناك بعض صيغ الاستفهام وردت في ثنايا البنية التّركيبيّة لبعض الأمثال، لا بأس أن نشير إليها ونقف عند واحد منها، حتّى لا نتوسّع في التّحليل والبيان، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ...﴾ (النحل: 57 – 60).

فالاستفهام في قوله (أَيُمْسِكُهُ) الهمزة للاستفهام، ويمسكه جملة الاستفهام في موضع الحال. والغرض منه إظهار التّردّد الحاصل في نفسه؛ بين تركها مع الإهانة والذّل، أو دفنها وهي حيّة (الوأد).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: 76).

فالاستفهام في قوله (هَلْ يَسْتَوِي) هل حرف استفهام والغرض منه النّفي.

---

1 – أحمد بن محمد: المجتبى من مشكل إعراب القرآن،1/ 261.

2 – ابن عاشور: التحرير والتنوير،12/ 32.

3 – الشوكاني: فتح القدير، 2/ 556.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا... قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا...﴾ (الكهف: 32 – 44).

فالاستفهام في قوله (أَكَفَرْتَ) الهمزة للاستفهام الغرض منه التّوبيخ والتّقريع.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 29).

فالاستفهام في قوله (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) هل حرف استفهام والغرض منه الإنكار والاستبعاد، أو التّبكيت قصد تبيين الحقّ من الباطل، وإرشاد الجاهل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ... وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ... هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: 13 – 29).

فالاستفهام في قوله (أَأَتَّخِذُ) الهمزة الأولى للاستفهام وهو إنكاري ويجوز أن يكون معناه النّفي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: 214، 215).

فالاستفهام في قوله (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) فكلمة "متى" تأتي اسما من أسماء الاستفهام، ويستفهم بها عن الزّمان ماضيا كان أم مستقبلا[1]، والاستفهام مستعمل في الاستبطاء[2].

فقولهم: متى نصر الله؟. يظهر منه أنّهم استطالوا مدّة الابتلاء بالسّراء والضّراء

1 – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 265.

2 – المرجع نفسه، 1/ 294.

والافتتان، فاستبطئوا مجيء النّصر الذي هو غايتهم ومبتغاهم، وعليه تكمن القيمة الأسلوبيّة والجماليّة من جراء هذا الأسلوب الاستفهاميّ - الذي غرضه الاستبطاء - في إظهار المعاناة والإرهاق النّفسيّ والمعنويّ من طول الانتظار الذي بلغ بهم لحدّ التّزلزل ويكاد يصل لليأس، وهذا مدعاة لجذب انتباه المتلقّين ودعوتهم ضمنيّا للمشاركة في همّهم، والنّظر فيما نزل وحلّ بهم من ضرّ، مع التّطلع إلى الفرج القريب، وقد انسجم كلّ ذلك مع السّياق في إبراز وتصوير هذا الابتلاء وتلك الشّدّة، ما جعلهم يتطلّعون إلى فرج الله ونصره، الذي طال انتظارهم له.

وبالتّالي فإنّ الاستفهام - كما نرى - خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازيّ (الاستبطاء) بمعونة القرائن الحاليّة، حيث إنّ شدّة البأساء والضّراء والتّزلزل الذي لحق بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والذين معه، جعلهم يشعرون ببعد الفرج وبطء تحقّقه، وهم يدركون أنّ مجيء الفرج أو النّصر من عند الله في علم الغيب، وقد اختصّ به تعالى دون سواه، فلا ينتظرون جوابا بتحديد وقته، وإنّما يتطلّعون لبروز الفرج وقدوم النّصر ذاته، وهكذا نرى أنّ الاستفهام عدل عن معناه الحقيقيّ إلى المعنى المجازيّ، فيكون ادعى لاستيعاب الدّلالة القائمة في نفس المتكلّم، وإبرازها في صورة مؤثّرة تحدث ردود فعل قويّة عند المتلقّي.

د - النّداء

هناك بعض الأمثال وردت إنشائيّة بصيغة النّداء، وقد جاء ذلك في مثلين ظاهرين، هما:

قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 264).

فالمثل بدأ بالجملة الإنشائيّة المتمثّلة في "يا" و "أي" من أدوات النّداء. قال البيضاويّ: «(يا) حرف وضع لنداء البعيد، وقد ينادي به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد. إمّا لعظمته كقول الدّاعي: يا رب، ويا الله، هو أقرب إليه من حبل الوريد. أو لغفلته وسوء فهمه. أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه»[1].

وأما النّداء بـ(أي) يكون للقريب، وهنا النّداء بـ(يا) و(أي) معا، وهذا يحتمل استعمالين: إمّا إشارة إلى أنّ السّامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنّه غير حاضر، فهو بعيد معنويّا وإن كان قريبا حقيقة، أو لجدّية الأمر الذي ينادى له، وكلاهما محتمل، لأنّ القضية تتعلّق بأمر لا لعب فيه ولا استهزاء، ويجب أن لا يُغفل عنه، لأنّه يرتبط بقبول الصّدقات أو إبطالها، ولذا كان الغرض منه التّنبيه والتّلطّف بالمؤمنين عن إبطال صدقاتهم بالمنّ والأذى، حتّى يستجيبوا حين يسمعوا ما يُلقى إليهم بعد النّداء ليعملوا بمقتضاه.

والنّداء في عمومه (يُعرّف بأنّه ما يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلّم وقت الطّلب)[2]. والمخصوصون بالنّداء هم الذين آمنوا، وهم مظنّة الاستجابة لنداء خالقهم، وخاصّة عندما يكون الأمر فيه عزم، ويتعلّق بالآخرة، ويسوقه النّداء ضمن معنى يحمله التّمثيل فيشبّهه (المتصدّق الذي يُتْبِعُ صدقاته بالمنّ والأذى، بالذي يتصدّق بالأموال، ليرائي بها النّاس، وهو – مع هذا – لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر. فهو لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا من الله؛ بل يلتمس بصدقته رضوان النّاس، لا رضوان الله)[3]، وبالتّالي يكون لهذا النّداء أثره على المتلقّين ويُنتظر منهم الاستجابة والتّفاعل باعتبار أنّه موجّه إليهم، وهو ما يسمّى بوظيفة النّداء.

---

1 – البيضاوي: أنوار التنزيل، 1/ 54.

2 – عبد العزيز عتيق: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ص: 61.

3 – مجموعة من العلماء: التفسير الوسيط، 1/ 454.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 73، 74).

فالمثل بدأ – أيضا – بالجملة الإنشائيّة المتمثّلة في "يا" النّداء، وهي أصل حروف النّداء وأكثرها استعمالا، و"أَيُّ" حرف نداء كذلك، وهي اسم مبهم لكن يزول إبهامه بالاسم المقصود بالنّداء الذي يأتي بعده، والنّداء بهما عامّ يعمّ جميع النّاس، وصداه بعيد المدى بزيادة الـ (ها) التي تفيد التّنبيه المستفاد منه، ليشمل الوجود كلّه؛ مبرزا حقيقة مهمّة في الكون، يقوم عليها أمره، ولا يستقيم الحال من دونها، وهي أنّه لا معبود إلّا الله تعالى، وما سواه من الآلهة مزعومة مزيّفة، لا تملك من أمرها شيئاً، فضلاً عن أن تملك لغيرها نفعاً أو ضرّاً.

قال الزّمخشريّ: «كثر في القرآن النّداء بـ (يا أيّها) دون غيرها؛ لأنّ فيها أوجها من التّأكيد، وأسبابا من المبالغة، منها:

(1) ما في "يا" من التّأكيد والتّنبيه.

(2) ما في "ها" من التّنبيه.

(3) وما في التّدرّج من الإبهام في "أي" إلى التّوضيح.

والمقام يناسب المبالغة والتّأكيد، لأنّ كلّ ما نادى الله له عباده من أوامره، ونواهيه، وعطائه، وزواجره، ووعده، ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية، وغير ذلك ممّا أنطق الله به كتابه، أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ»[1].

1 – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 243.

ويقول ابن القيم: «حقيق على كلّ عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبّره حقّ تدبّره فإنّه يقطع مواد الشّرك من قلبه، وذلك أنّ المعبود أقلّ درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضرّه، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذّباب ولو اجتمعوا كلّهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه؟! ولا يقدرون على الانتصار من الذّباب إذا سلبهم شيئا ممّا عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذّباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إيّاه فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله»[1].

وعليه فإنّ الغرض الأساس الذي يريد أن يقرّره هذا الأسلوب الإنشائيّ النّدائيّ، هو بطلان الإشراك بالله، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشّهادة على أنّ الأمر إلى الله وحده، وأن جميع المخلوقين لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً، وبالتّالي فلا ينبغي للعاقل أن يعتمد على أحد سوى الله تعالى.

وهناك ما ورد من النّداء في بنية التّركيب، من ذلك ما جاء في لفظ (يَالَيْتَنِي) من قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ... وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: 32 – 42).

(يا) حرف النّداء مستعمل في التّلهّف[2]. و«ليتني» حرف تمنّ. والنّون والياء نصب بليت لأنّ ليت من أخوات إن[3].

وورد النّداء – أيضا – في لفظ (يَالَيْتَ) من قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ... قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (يس: 13 – 26).

---

1 – ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين، 1/ 181.

2 – ينظر – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 15/327.

3 – ينظر – الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: 370هـ): إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية (1360هـ – 1941م)، ص: 84.

يا: حرف نداء الغرض منه التّنبيه، وليت: من أخوات إن يفيد التّمنّي.

وهذا الذي ذكرناه يحمل (يا) النّداء في الموضعين على تقدير من يرى أنّ الياء للنّداء والمنادى محذوف مقدّر، وهناك من يرى أنّ (يا) لمجرد التّنبيه في الموضعين، لأنّ المنادى غير موجود[1].

ه- التّمنّي

كما أنّ اللّفظين (لَيْتَنِي) و(لَيْتَ) من الأسلوب الإنشائيّ مجرّدتين عن النّداء يراد بهما التّمني؛ فالأوّلى يُنادِي بالْحَسْرَةِ مُتَمَنّياً لو أنّه لم يشرك بالله، فهو نادم على ما كان منه، فعبّرت صيغة التّمني بأدّق تعبير عن شعور الإنسان في لحظات الفوات حين لا يمكن الرّجوع ولا ينفع النّدم، وقد أدرك في جلاء ووضوح أنّ ما فعله كان خاطئا، وعليه كان تمنيّا مستحيل الوقوع.

والثّانية أراد بذلك الإشْفَاقَ والنّصحَ لَهُمْ[2] فتمنّى عِلْمَ قومه بحاله، قال القرطبيّ: «وفي معنى تمنّيه قولان: أحدهما أنّه تمنّى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته. الثّاني تمنّى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله»[3].

وفي آخر حديثنا عن تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل القرآنيّ الظّاهر يمكن أن نمحور ملخّصه فيما يلي:

1 - أنّ الأمثال القرآنيّة الظّاهرة لها تشكّل بلاغيّ جعلها ظاهرة أسلوبيّة في القرآن الكريم، لها مميّزاتها وخصائصها ووظيفتها وتختلف في بنيتها وأسلوبها عن باقي الأساليب القرآنيّة.

2 - أسلوب الأمثال الظّاهرة يتميّز بإبراز المعقول في هيئة المحسوس،

---

1 - ينظر- مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 8/ 189.

2 - ينظر - الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 5/ 10.

3 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 15/ 20.

والاستدلال على المعقول بالقول التّعبيريّ الإيحائيّ؛ ذلك أنّ الأمثال فنّ قوليّ تصويريّ مجازيّ يبتعد عن التّقرير والمباشرة، ويشتمل على فنون القول؛ لاشتمال الأمثال على ما لم يشتمل عليه غيرها من الفنون القوليّة.

3 - الأسلوب الخبريّ هو الأسلوب الغالب على الأمثال القرآنيّة الظّاهرة، وقد جاء متنوّع الورود؛ فمرّة يرد جملة فعليّة، وتارة يرد جملة اسميّة، وكما أنّه متنوّع من حيث المؤكّدات، فمرّة يرد بالمؤكّد ابتداء ومرّة يأتي من غير مؤكّد، كما هو الحال في الجمل الفعليّة، كما أنّه متنوّع من حيث قلّة المؤكّدات وكثرتها داخل بنية المثل، وهذا يرجع للطّول النّسبيّ للمثل، ولما يحمله من موضوعات وقضايا مختلفة، يضيق بها نوع واحد من الأسلوب، فكان لزاما من هذا الإجراء الأسلوبيّ في التّعدّد والتّغير ليتكفّل بهذه الموضوعات الكبيرة وغيرها وتتّسع لها بنية المثل ويتحمّلها أسلوبه المتنوّع بعلاقاته وروابطه القائمة بين جمله، متفاعلة مع الأنساق الأسلوبيّة الأخرى في النّص القرآنيّ.

4 - الأسلوب الإنشائيّ هو الأسلوب الأقلّ ورودا في الأمثال القرآنيّة الظّاهرة، ويحمل في بعضها معنى الخبر، وقد جاء متنوّع الورود ابتداء وفي البنية التّركيبيّة للمثل، وبصيغ متعدّدة بين الأمر والاستفهام والنّداء والنّهي والتّمنّي، ويكاد يكون في أغلبه خارج عن أصله لأغراض مختلفة، يقتضيها السّياق والقرائن، مثل الاعتبار والاتّعاظ والتّذكير والتّدبّر والإنكار والتّعجيب والتّقرير... وقد أشرنا لبعضها أثناء الكلام عنه.

وبعد هذا البيان والإيضاح للأسلوب الإخباريّ والإنشائيّ من خلال المثل الظّاهر ننتقل للعنصر الموالي المتعلّق بأسلوب المثل الكامن.

رابعا ـ تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل القرآنيّ الكامن

ونتناول فيه العناصر التّالية

1 – الأسلوب الإخباريّ

أ – الجمل الفعليّة

ب – الجمل الاسميّة

ج – النّفي

د – الشّرط

2 – الأسلوب الإنشائيّ

أ – الأمر

ب – النّهيّ

ج – الاستفهام

د – النّداء

توطئة

هذا النّوع الثّاني من الأمثال القرآنيّة سمّي بالكامن لأنّه غير ظاهر وغير مصرّح به، فهو نوع خفيّ، أي لم يرد بصريح المثل، ولم يحمل أدوات التّشبيه والمثل، فهو عبارة عن ورود أقوال وأمثال مشهورة عند العرب توافق في معناها بعض الآيات القرآنيّة، وعلى هذا قام العلماء باقتباس تلك الآيات وضُرِبت كأمثال لتلك المعاني الموجود في نظائرها من الأمثال العربيّة، وأصبحت تسمّى بالأمثال الكامنة، فهي أمثال من جهة المعاني أكثر ممّا هي من جهة المباني.

وقد تحدّث البعض عن هذا النّوع ضمن الأمثال القرآنيّة – كما بيّناه سابقا عند الزّركشيّ والسّيوطيّ وغيرهم – وتحدّث عنه البعض في ثنايا الحديث عن المباحث البلاغيّة عند التّعرّض للأمثال، كما ذكرناه عند أحمد الهاشميّ في جواهر البلاغة وغيره، والبعض تحدّث عنه ضمن المباحث اللّغويّة المختلفة، كما فعل أبو منصور الثّعالبيّ (ت: 429ه) في "خاصّ الخاصّ"، وعبد الرّحمن الجوزي (ت : 597ه) في "المدهش"، وغيرهما.

وقد خصّه بعضهم بالتّأليف المستقل؛ منهم الحسن بن عبد الله القضاعيّ، بعنوان: "الْأَمْثَال الكامنة فِي الْقُرْآن"[1]، وهذا لم يصلنا، ونجد كذلك الحسين بن الفضل (ت: 282ه) خصّه بكتاب تحت المسمّى: "الأمثال الكامنة في القرآن الكريم"، وهذا الكتاب هو الوحيد الذي وصل إلينا في هذا الموضوع، وقد قام بتحقيقه الدّكتور علي حسين البوّاب، طبعته مكتبة التّوبة بالرّياض، وكانت طبعته الأولى سنة: 1412ه – 1992م، وهو الذي نعتمد عليه في دراستنا هذه.

---

1 – ينظر – محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي أبو بكر (المتوفى: 575ه): الفهرسة، المحقق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان الطبعة: الطبعة الأولى، 1419ه/1998م، ص: 67.

وقبل أن نبدأ في التّحليل لا بأس أن نعطي بعض النّماذج عن هذا النوع من الأمثال ليتّضح لنا، وقد ورد على شكل محاورة بين والد إسحاق إبراهيم بن مضارب والحسين بن الفضل[1]:

قال أبو إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم بن طوق: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل؛ فقلت: إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله تعالى: (خير الأمور أوسطها)؟.

قال: نعم، في أربعة مواضع:

الأوّل - في "البقرة" في قوله تعالى: ﴿لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (البقرة:68) والفارض: المسنّة.

الثّاني - وفي قوله تعالى في "النّفقة": ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ (الفرقان:67).

الثّالث - وفي قوله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلّم والآية في "الصّلاة": ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ (الإسراء:110).

الرّابع - وفي قوله تعالى للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (الإسراء:23).

قلت: فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (من جهل شيئاً عاداه)؟.

قال نعم، في موضعين: في قوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس:39)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف:11).

---

1 - ينظر - الحسين بن الفضل (ت: 282هـ): الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، تحقيق: الدكتور علي حسين البوّاب، مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الأولى سنة: 1412ه - 1992م، ص: 25 وما بعدها .

قلت: فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (احذر شرّ من أحسنت إليه)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (التوبة:74).

قلت: فهل يوجد في كتاب الله عزّ وجلّ: (ليس الخبر كالمعاينة)؟

قال: نعم، في قصّة إبراهيم عليه السّلام، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة:260).

قلت: فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (في الحركات بركات)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ (النّساء:100).

قلت: فهل يوجد في كتاب الله عزّ وجلّ: (أقْصَرَ لمّا أبصَرَ)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم﴾ (آل عمران:135).

قلت: فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (كما تدين تدان)؟

قال: نعم، في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء:123).

قلت : فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (ازرع تحصد)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً﴾ (آل عمران:30).

قلت: فهل يوجد في كتاب الله تعالى: (لا في العير ولا في النّفير)؟

قال: نعم، قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء﴾ (النساء:143).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (حين تقلي تدري)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان: 42).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبداً)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس: 96 – 97).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى قول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (لا يلدغ المؤمن من جُحْر مرّتين)؟

قال: نعم، في قصّة يوسف، قول يعقوب عليه السّلام: ﴿قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ (يوسف: 64).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (إلى أمه يلهف اللهفان)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل: 53).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى (لا يفلح المنصور حتّى ينفخ في الصّور)؟

قال: نعم، قوله تعالى في حق الكافرين: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ (الكهف: 20).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (من أعان ظالما سُلّط عليه)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (الحج:4).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (العودُ أحمدْ)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: 85).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (ويل للشّجيّ من الخليّ)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ (الفرقان:20).

والخليّ هو الخلوّ من الهمّ، والشّجيّ المهموم ويكون المعنى ويل للمهموم من الفارغ.

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (إنَّ الحديد بالحديد يفلح)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: 40).

وسئل: هل يوجد في كتاب الله تعالى: (لكلّ ساقطة لاقطة)؟

قال: نعم، قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18).

فهذا جزء من هذه المحاورة الطّريفة – ومازال الحوار متواصلا – نستشفّ منها مجموعة من الأمثال الكامنة، وفيها ستّة وثلاثون مثلا عربيّا جاء بنظائرها من القرآن الكريم، ثمّ تبعها المحقّق بخمس وعشرين أخرى جمعها من بعض النّسخ، فبلغ العدد الإجمالي في الكتاب، واحد وستّون مثلا.

وهكذا فكلّ آية تعتبر مثلا كامنا قابلا للدّراسة في سياق معناه الأصليّ في القرآن الكريم، وفي ظلّ معناه الذي اقتبس له؛ وهو معنى المثل العربيّ الذي يناظره. وفي حدود بحثي وما توصّلت إليه فهذا النّوع من الأمثال لم يسبق وأن دُرِس بأيّ نوع من الدّراسة، ونبدأ الآن بتحليل بعض النّماذج منه بما يسمح به المقام، وبما يتلاءم والحجم الكميّ للكتاب، وسوف نختار النّماذج القصيرة ليتاح لنا ما نريد.

الملاحظ أنّ الأمثال الكامنة أقلّ طولا من الأمثال القرآنيّة الظّاهرة، وبالتّالي هي أقلّ في التّركيب من حيث إعداد الجمل، والجملة كما سبق وأن عرفنا هي التي ننطلق منها في تحديد نوع الأسلوب في المثل، هل هو إخباريّ أم إنشائيّ؟ وبعدها نقوم بتحليل كلّ نوع على حده، وعندما نقوم بعملية استقراء للأمثال الكامنة نجد أنّ الثّلثين منها ورد – ابتداء – بصيغة الجملة الفعليّة، والثّلث الباقي ورد بصيغة

الجملة الاسميّة، وأغلبها – إن لم نقل كلّها – لا تخلوا من جمل أخرى داخل تركيبها، ونحن نريد أن نقف على ذلك من خلال دراسة الأسلوبين الإخباريّ والإنشائيّ.

1 – الأسلوب الإخباريّ

كما عرفنا أنّ الأسلوب الإخباريّ له جمل فعليّة وأخرى اسميّة، ونفس الشّيء مع الأسلوب الإنشائيّ، لذا سنقوم بعملية رصد وتحليل لكلّ واحد من الأسلوبين من خلال ما ورد فيه من جمل.

أ – الجمل الفعليّة

الأسلوب الإخباريّ في المثل الكامن جاء ثريّا ومتنوّعا، من ذلك أنّه ورد في مجموعة منه بالجمل الفعليّة المختلفة الأشكال، منها ما جاء على الأصل، وهو إلقاء الخبر من غير مؤكّدات، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس:39).

فنرى أنّها فعليّة (كَذَّبُوا) خبريّة من غير مؤكّدات على ضرب الخبر الابتدائيّ، الغرض منه التّوبيخ[1] لأنّ الإخبار عن تكذيبهم بأنّه دون الإحاطة بعلم ما كذبوا به، وقد جاء بحرف الإضراب (بل). لبيان كنه تكذيبهم[2].

فهو إضراب وانتقال عن إظهار بطلان ما قالوا في حقّ القرآن العظيم بالتّحدي إلى إظهاره ببيان أنّه كلام ناشئ عن عدم علمهم بكنه أمره والاطلاع على شأنه الجليل[3].

أو بمعنى أضرب عن الكلام الأوّل، وانتقل إلى بيان أنّهم سارعوا إلى تكذيب

---

1 – ينظر – البقاعي: نظم الدرر 9/ 231.

2 – ينظر – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 11/ 171.

3 – ينظر – الألوسي: روح المعاني، 6/ 112.

القرآن قبل أن يتدبّروه ويفهموا معانيه وما اشتمل عليه[1].

فالتّوبيخ (على التّقليد وترك النّظر كأنّه قِيل دع تحدّيهم وإلزامهم، فإنّهم لا يستأهلون الخطاب لأنّهم مقلّدون متهافتون في الأمر لا عن خبر وتعقّل ولو كان لهم وقوف على ما في تضاعيف القرآن من شواهد الإعجاز لعلموا أنّه ليس ممّا يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه المخلوق)[2]. كما أنّه يحتمل النّفي، أي نفي ذلك عنهم[3].

وأيضا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ (الأنفال:48).

فقد بدأ المثل بالجملة الفعليّة الخبريّة الابتدائيّة ومن غير مؤكّد، فالقوم غير منكرين لهذا الخبر يوم بدر وهم يعرفون ذلك، ولهم سابق علم به، وهذا ما يسمّى بلزوم الفائدة.

والغرض من هذا الأسلوب الإخباريّ التّنبيه والتّحذير، قال ابن عاشور: «ليجمع لهم بين الأمر بما ينبغي والتّحذير ممّا لا ينبغي»[4].

كما أنّه يمكن أن يحمل على غرض التّهكم، فالآية تصوّر الشّيطان وقد ملأ أفئدة المشركين بالإعجاب بأعمالهم، فاغترّوا بها، وتكاد تستمع إلى وسوسته، وهو يؤكّد لهم أنّه لا غالب لهم اليوم من النّاس ما دام جارا لهم، وتتخيّله موليّا الأدبار بعد أن تراءت الفئتان، وبدت أمام عينيه الهزيمة، فيسلم قومه إلى القتل، ويفرّ غادرا بهم، ويرنّ في أذنك براءته منهم، معلّلا ذلك بأنّه يرى ما لا يرون، وبأنّه يخاف الله، وفي ذلك التّصوير من التّهكم بهم ما فيه[5].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾

1 – ينظر – الشوكاني: فتح القدير، 2/ 507.

2 – إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: روح البيان، دار إحياء التراث العربي، 4/ 46.

3 – ينظر – الأصفهاني: غريب القرآن، ص: 137.

4 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 10/ 34.

5 – ينظر – أحمد البدوي: من بلاغة القرآن، ص: 298.

(الأحقاف:11).

فقد بدأ المثل بالجملة الفعليّة الخبريّة الابتدائيّة ومن غير مؤكّد، على تقدير فعل محذوف تعلّق به الظّرف (إذ) لدلالة الكلام عليه، فيدلّ عليه ما قبله ويترتّب عليه ما بعده لا بقوله[1].

ف(إذ): ظرف للزّمن الماضي متعلّق بمحذوف يقتضيه السّياق أي قالوا ما قالوه، أو ظهر عنادهم[2]. التّقدير: قالوا ما قالوه إذ لم يهتدوا بالقرآن. أو وظهر عنادهم إذ لم يهتدوا بالقرآن. والغرض منه التّعليل[3].

وأيضا في قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء﴾ (النساء:143).

كما نرى جملة فعليّة فعلها وفاعلها محذوفان يقدّران تقديرا إذا أخذنا المثل مفصولا عن سياقه، وأمّا إن نظرنا لسياقه فتكون كلمة (مُذَبْذَبِينَ) حال منصوبة من فاعل يراءون[4]، أو من فاعل يذكرون[5] من قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:142). وقد تكون لفظة (مُذَبْذَبِينَ) نصبت على الذّم، وفي هذا يقول الرّازيّ: «ويحتمل أن يكون منصوبا على الذّم»[6].

---

1 – ينظر – إسماعيل حقي: روح البيان، 8/ 364.

2 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 26/ 176.

3 – ينظر – ابن مالك: شرح التسهيل، 2/ 208. . وجمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، ابن هشام (ت: 761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، 1985، ص: 114.

4 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 5/ 214. 215.

5 – الرازي: مفاتيح الغيب،11/ 249.

6 – المرجع نفسه، 11/ 249.

ويقول النّيسابوريّ: «والأوجه أنّه حال أي يراؤون مذبذبين»[1].

وبالتّالي تكون الجملة فعليّة خبريّة وردت على ضروب الخبر الابتدائيّ من غير مؤكّدات. الغرض منه الذّم، لقوله: (مُذَبْذَبِينَ): منصوب على الذّم[2] أي: أذمّهم[3].

والمعنى: مردّدين بين الإيمان والكفر من الذّبذبة وهي جعل الشّيء مضطرباً، (يعني: المنافقين محيّرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولا مع الكافرين ظاهرا وباطنا، بل ظواهرهم مع المؤمنين، وبواطنهم مع الكافرين. ومنهم من يعتريه الشّكّ، فتارة يميل إلى هؤلاء، وتارة يميل إلى أولئك)[4].

فـ«الآية ترسم صورة فنيّة رائعة لحال المنافقين، فهم أبدا في تأرجح واهتزاز لا يستقرّ ولا يثبت على حال، وقد جاءت كلمات هذه الآية ومعانيها لتشارك في رسم هذه الصّورة؛ فالصّفة (مذبذبين) ترسم بجرسها وإيقاعها الرّجفة والاهتزاز الدّائم الذي لا يستقرّ، وقوله تعالى لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ من التّأرجح وعدم الثّبات وهي صورة يتملاها الخيال والحسّ بأروع ممّا يراه البصر وترسمه ريشة الفنّان»[5].

كذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة:48).

فقد بدأ المثل بجملة فعليّة خبريّة (جَاء الْحَقُّ)، وتلتها جملة فعليّة (ظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ)، وقد وردتا على ضرب الابتدائيّ من غير مؤكّدات. وأمّا (حَتَّى) في هذا

---

1 – نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850ه): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1416 ه، 2/ 518.

2 – السنيكي: إعراب القرآن العظيم، ص: 232.

3 – علي بن الحسين بن علي الأَصْفهاني الباقولي (ت: نحو 543ه): إعراب القرآن، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري – القاهرة ودار الكتب اللبنانية – بيروت – القاهرة / بيروت، الطبعة: الرابعة – 1420 ه، 2/ 742.

4 – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 2/ 439.

5 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن،5/ 216.

الموضوع وقعت حرف ابتداء، أي حرفا تستأنف بعده الجملة فيدخل على الجملة الاسميّة والفعليّة ومنها في حالة الماضي كما هو في مثلنا هذا[1].

والغرض منه التّعليل[2]، على حسب سياق الآية كلّها. ويرى الرّازيّ أنّ الغرض هو التّنبيه، فقال: «وفيه تنبيه على أنّه لا أثر لمكرهم وكيدهم ومبالغتهم في إثارة الشّرّ، فإنّهم منذ كانوا في طلب هذا المكر والكيد، والله تعالى ردّه في نحرهم وقلب مرادهم وأتى بضدّ مقصودهم، فلمّا كان الأمر كذلك في الماضي، فهذا يكون في المستقبل»[3].

كذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف:143).

جملة فعليّة خبريّة وردت ابتدائيّة من غير مؤكّد. والغرض منه طلب الرّؤية، جاء في التّفسير الوسيط للزّحيليّ: «أي انظر إلى ذاتك المقدّسة، وقوّني على النّظر إليك، فقال الله له: (لَنْ تَرانِي) أي الآن ولا في المستقبل في الدّنيا، إذ ليس لبشر القدرة على النّظر إليّ»[4].

ومثل ما ذكرنا نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَاتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَاتِيهِمْ﴾ (الأعراف:163).

فقد بدأ المثل بجملة فعليّة خبريّة ابتدائيّة من غير مؤكّد والغرض منه بيان التّحايل؛ أي تحايل بيني إسرائيل في التّخلصّ من أحكام الله.

قال صاحب التّيسير في أحاديث التّفسير: «التّحايل على التّخلصّ من أوامر

1 – ينظر – المرجع السابق، 10/ 354.

2 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 10/ 219.

3 – الرازي: مفاتيح الغيب، 16/ 65.

4 – الزحيلي: التفسير الوسيط، 1/ 720.

الله والتّحلّل من نواهيه، وبذلك وضعوا سابقة "الحيل" في الشّريعة والدّين»[1].

كما أنّه يكون مسوق لغرض التّقريع، يقول ابن عاشور: «لتقريع بني إسرائيل وتوبيخهم وعدّ سوابق عصيانهم أي ليس عصيانهم إيّاك ببدع، فإنّ ذلك شنشنة قديمة فيهم»[2].

ويُحتمل أن يكون لغرض الموعظة والاعتبار، يقول ابن عاشور: «فالمقصود من الآية الموعظة والعبرة وليست منّة عليهم، وقرينته قوله تعالى: كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون أي نمتحن طاعتهم بتعريضهم لداعي العصيان وهو وجود المشتهى الممنوع»[3].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ (الفرقان:20).

جملة فعليّة خبريّة وردت ابتدائيّة من غير مؤكّد، الغرض منه التّقرير[4] وهو تقرير حقيقة تتمثّل في أنّ (الرّجلُ فتنة للمرأةِ، والمرأةُ فتنة للرّجلِ، والغنيّ فتنة للفقير، والفقيرُ فتنة للغنيِّ، والفاجرُ فتنة للبرِّ، والبرُّ فتنة للفاجرِ، والكافرُ فتنة للمؤمنِ، والمؤمنُ فتنة للكافرِ[5]. وحال الفتنة في كلا البعضين مختلف، فبعضها فتنة في العقيدة، وبعضها فتنة في الأمن، وبعضها فتنة في الأبدان، وهكذا[6].

وهناك جمل أخرى وردت فعليّة خبريّة ابتدائيّة من غير مؤكّد، نذكرها

---

1 – محمد المكي الناصري (ت: 1414هـ): التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 هـ – 1985م، 2/ 282.

2 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 9/ 147.

3 – المرجع نفسه، 9/ 150.

4 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 18/ 319.

5 – زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ): روائع التفسير، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1422 – 2001 م، 2/ 210.

6 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 18/ 344.

باختصار:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ (الأعراف:95).

وقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف:41) .

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ (الأحزاب:27).

وقوله تعالى: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (القصص:20).

وقوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (سبأ:54).

وقوله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه﴾ (يس:78).

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ (النجم:34).

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحريم:11).

فكلّها كما نرى أنّها جاءت فعليّة إخباريّة من غير مؤكّدات، لأنّ المُلْقَى إليه خالي الذّهن غير متردّد ولا منكر، فلا تحتاج لمؤكّد. وهناك جمل فعليّة أخرى جاءت مدعّمة بالمؤكّدات، لأنّ المتلقّين منكرين لما سيلقى عليهم، وخاصّة فيما يتعلّق بأمور الغيب، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان:42).

فالمثل بدأ بجملة فعليّة خبريّة مؤكّدة بسوف؛ وسوف حرف استقبال[1]، لأنّ الأمور المستقبلة لمّا كانت في أخبار الله تعالى متيقّنة مقطوعا بها عبّر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال[2].

يقول أبو زهرة: «سوف هنا لتّأكيد وقوع الفعل في المستقبل، أي سيعلمون علما مؤكّدا في أي جانب كان الضّلال، أكان مع الهادي المرشد الأمين، أم منكم،

1 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 7/ 18.

2 – المرجع نفسه، 8/ 517.

وأنتم تعبدون أحجارا لَا تنفع ولا تضرّ، وقد حبستم أنفسكم عليها حبسا لَا تخرجون من دائرة سلطانه الموهوم، وإنّكم ستعرفون الحقّ الواضح الأبلج النّاصع في نوره وبياضه عندما ترون العذاب، فالنّفوس الضّالة لَا يهديها إلى الحقّ الحجّة الدّامغة، بل تزيدهم إصرارا على باطلهم، ويعلمون حينئذ الحقّ في وقته، إذ يعلمونه في وقت نزول العذاب، وهو علم ندم، ولات حين مندم»[1].

والغرض منها الوعيد والتّهديد[2]، فلفظ (سوف) ممّا يستعمل في الوعيد كثيرا حتّى صار كالحقيقة[3]. دلالة على أنّهم لا يفوتونه وإن طالت مدّة الإمهال، ولا بدّ للوعيد أن يلحقهم فلا يغرّنهم التّأخير[4]، يقول ابن عادل: «وهذا وعيد شديد على التّعامي والإعراض عن الاستدلال والنّظر»[5].

ومن الجمل الفعليّة المؤكّدة ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ (البقرة:265).

فالمثل بدأ بجملة فعليّة إخباريّة مؤكّدة بـ(إن) الشّرطيّة ولم النّافية. (الفاء استئنافيّة، وإن شرطيّة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويصبها فعل مضارع مجزوم ب «لم» في محل جزم فعل الشّرط، والفاء رابطة للجواب، وطلّ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي فالذي يصيبها طلّ، والجملة في محلّ جزم جواب الشّرط)[6].

---

1 – أبو زهرة: زهرة التفاسير، 10/ 5285.

2 – ينظر – محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: 720هـ): اللمحة في شرح الملحة، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م، 1/ 114.

3 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 14/ 14.

4 – الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 3/ 281.

5 – ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، 14/ 539.

6 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 410.

والغرض منه الإرشاد، يقول الرّازيّ: «والكلام مساق للإرشاد»[1].

ونجد في مثل آخر يكون التّوكيد في بنية المثل وليس في بدايته، كقوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (الحج:4).

ورد المثل ابتداء جملة فعليّة خبريّة بدأت بفعل ماضي مبنيّ للمجهول، وردت من غير مؤكّد ابتداء، ثمّ ما بعدها جملة اسميّة شرطيّة باسم الشّرط (مَن) الجازم وهو مبتدأ، والشّرط من المؤكّدات في الأسلوب الإخباريّ، وسوف نفرده بالحديث لاحقا، كما أنّها أي(مَن) يمكن أن تحمل على اسم موصول باعتبار الإخبار الثّابت لا على التّعليق بالشّرط وهي مبتدأ أيضا، وتحمل التّأكيد في ذاتها، وبعدها ورد جملتان اسميّتان دخل عليهما النّاسخ (أَنَّ) فورد مرّتين للتّأكيد، يقول الزّجّاج: «وحقيقة "أن" الثّانية أنّها مكرّرة مع الأولى على جهة التّوكيد، لأنّ المعنى كُتبَ عليه أنّه من تولّاه أضلّه»[2].

والغرض من هذا الأسلوب هو الزّجر والوعيد، يقول الرّازيّ: «فكأنّه قال كتب على من يتّبع الشّيطان أنّه من تولى الشّيطان أضلّه عن الجنّة وهداه إلى النّار. وذلك زجر منه تعالى، فكأنّه تعالى قال: كتب على من هذا حاله أنّه يصير أهلا لهذا الوعيد، فإن رجع إلى الشّيطان كان المعنى ويتّبع كلّ شيطان مريد قد كتب عليه أنّه من يقبل منه فهو في ضلال. وعلى هذا الوجه أيضا يكون زجرا عن اتّباعه»[3].

فهذه مجموعة الأمثال الكامنة التي وردت بالأسلوب الإخباريّ، وابتدأت بصيغة الجمل الفعليّة، قد وقفنا عندها، وبيّنا ما فيها، وذكرنا أهمّ الأغراض التي سيقت لها، وكما نرى أن أكثرها ورد من غير مؤكّد، وقد أريد بها مجرّد الإخبار، وفي

1 – الألوسي: روح المعاني، 2/ 36.
2 – الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، 3/ 411.
3 – الرازي: مفاتيح الغيب، 23/ 202.

أغلبها خرجت عن أغراضها الحقيقيّة إلى أغراض أخرى تمّت الإشارة إليها في مواطنها.

ب - الجمل الاسميّة

أمّا عندما نقف مع الجمل الاسميّة، فنجد أنّ منها ما ورد من غير مؤكّد ابتداء، إلّا ما تحمله الاسميّة من تأكيد في ذاتها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾ (الأعراف:58).

فنرى أنّها بدأت بـ(وَالْبَلَدُ) فهي اسميّة خبريّة من غير مؤكّد إلّا ما تحمله الجملة الاسميّة من توكيد في ذاتها، وأيضا معطوفة عليها جملة اسميّة ثانية (وَالَّذِي) ثمّ بعد ذلك لحق التّوكيد بالنّفي مع التّوكيد بالحصر في قوله (لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً).

والغرض من هذا الأسلوب الخبريّ هو التّذكير والإبطال، يقول ابن عاشور: «إذ قد بيّن فيها اختلاف حال البلد الذي يصيبه ماء السّحاب، دعا إلى هذا التّفصيل أنّه لمّا مثل إخراج ثمرات الأرض بإخراج الموتى منها يوم البعث تذكيرا بذلك للمؤمنين، إبطالا لإحالة البعث عند المشركين، مثّل هنا باختلاف حال إخراج النّبات من الأرض اختلاف حال النّاس الأحياء في الانتفاع برحمة هدى»[1].

ونفس الشّيء عندما نقف مع المثل الكامن في قوله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾ (البقرة:179).

نراه ابتدأ بجملة اسميّة خبريّة صيغت ابتداء من غير مؤكّدات معروفة، سوى اسميّة الجملة، أو ما جاء من مؤكّد معنويّ بتقديم الخبر للاهتمام، وتأخير المبتدأ في فلفظ «حَياةٌ» مبتدأ مؤخر[2]. ولكن أخّرت لبيان أهميّة القصاص إلينا - وقد تكلّمنا عن هذا في التّقديم والتّأخير عند الحديث عن الانزياح التّركيبيّ، من الفصل الثّاني

1 - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 8-ب/ 184.

2 - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 74.

- وفي آخرها الجملة الإنشائيّة تحت ضرب النّداء، «يا أُولِي» يا أداة نداء، أولي منادى[1] وسنأتي عليها في حينها لاحقا.

والغرض من هذا الأسلوب الارتداع، يقول الأصفهانيّ: «أي يرتدع بالقصاص من يريد الإقدام على القتل فيكون في ذلك حياة النّاس»[2].

وأيضا في المثل من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام:129).

نرى المثل بدأ بجملة اسميّة خبريّة من غير مؤكّدات سوى توكيد اسميّة الجملة. وبيان ذلك أنّ الكاف الأولى من قوله (كَذَلِكَ) اسم بمعنى (مثل) في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره ب(الأمر) أي: الأمر مثل تولية بعض الظّالمين[3].

والغرض من هذا الأسلوب التّحذير والإنذار[4]. أي: التّحذير والإنذار لكلّ ظالم بأنّ سنة الله في الظّالمين الذين يعتدون على العباد ويضيّعون حقوقهم، بأنّ الله يسلط عليهم ظلمة آخرين يضربون على أيديهم، وينتقمون منهم شرّ انتقام.

وأيضا في المثل من قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ (التوبة:47).

جملة اسميّة خبريّة غير مؤكّدة بالمؤكّدات المعروفة للخبر، سوى اسميّة الجملة، أو ما جاء من مؤكّد معنويّ بتقديم الخبر للاهتمام، في قوله «فِيكُمْ» فهي خبر مقدّم «سَمَّاعُونَ» مبتدأ مؤخّر[5].والغرض منه التّنبيه، يقول ابن عاشور: «وهذه الجملة اعتراض للتّنبيه على أنّ بغيهم الفتنة أشدّ خطرا على المسلمين لأنّ في المسلمين فريقا تنطلي عليهم حيلهم، وهؤلاء هم سذّج المسلمين الذين يعجبون من

1 - المرجع السابقوالصفحة نفسها.

2 - الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، ص: 269، والأبياري: الموسوعة القرآنية، 8/ 157.

3 - ينظر - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 335.

4 - محمد المكي: التيسير في أحاديث التفسير، 2/ 166.

5 - أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 460.

أخبارهم ويتأثّرون ولا يبلغون إلى تمييز التّمويهات والمكائد عن الصّدق والحقّ»[1].

أيضا في المثل من قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور:26).

بدأ المثل بجملة اسميّة إخباريّة وردت من غير مؤكّدات سوى ما تحمله الاسميّة من تأكيد في ذاتها، والغرض منها بيان سنّة الله في خلقه، يقول أحمد مصطفى درويش: «كلام مستأنف مسوق لبيان سنّة الله في خلقه في أنّ يسوق كلّ صنف إلى صنفه وأن يقع كلّ طير على شكله»[2].

وهناك أمثال أخرى كامنة بدأت بجمل اسميّة، ووردت خالية من المؤكّدات المعروفة للخبر، نذكرها باختصار:

قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (الشعراء:224).

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون:53).

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى:40).

وقوله تعالى: ﴿ذلك بما قدّمت يداك﴾ (الحج:10).

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر:38).

وهناك ما ورد مؤكّدا، فمنها ما هو طلبيّ، ومنها ما هو إنكاريّ، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس:96 – 97).

فالمثل بدأ بجملة اسميّة مؤكّدة بـ(إنَّ) وباسميّة الجملة، وهناك تأكيد معنويّ آخر وهو النّفي مع صيغة المضارع الدّالة على الاستمرار، فـ(إنَّ) للتّوكيد المقصود به

1 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 10/ 218.

2 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 6/ 587.

التّحقيق، أي لا شكّ أنّ هؤلاء من أولئك فقد اتّضح أمرهم، واليأس من إيمانهم.

يقول أبو زهرة: «كان التّأكيد في هذا الحكم بـ(إِنَّ) المؤكّدة بقوله تعالى: (لا يُؤْمِنُونَ) تعبيرا بالمضارع دليلا على أنّ الإيمان ليس من شأنهم، وأنّهم لَا يذعنون وليس من طبعهم أن يؤمنوا بشيء بل الجحود شأنهم»[1].

فالخطاب يتعلّق بأهل الكتاب المعاندين فكان الغرض من هذا الأسلوب التّأييس، يقول ابن عاشور: «وهذا مسوق مساق التّأييس من إيمانهم»[2].

كما أنّه يحتمل أن يكون الغرض منه التّوبيخ. أي: توبيخ للكافرين على إصرارهم على الكفر، وجحودهم للحقّ[3].

فهؤلاء من (زمرة الفرق الذين حقّت عليهم كلمة الله أن لا يؤمنوا، فهم لا تجدي فيهم الحجّة لأنّهم أهل مكابرة، وليسوا طالبين للحقّ لأنّ الفطرة التي فطرت عليها عقولهم غير قابلة لحقائق الإيمان، فالذين لم يؤمنوا بما يجيء من الآيات هم ممّن علم الله أنّهم لا يؤمنون، تلك أماراتهم)[4].

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص:85).

ورد المثل جملة اسميّة خبريّة مؤكّدة بثلاث مؤكّدات أوّلها (إِنَّ)، ثمّ اسميّة الجملة، مع التّوكيد باللّام المزحلقة – وهي لام الابْتداء حينما تُزحْلَقُ عن صدر الجملة الاسميّة – في قوله: «لَرَادُّكَ»، وهكذا نجد أنّ الأسلوب الإخباريّ القرآنيّ – عموما – كثيرا ما يعمد إلى التّوكيد، لتقرير المعاني والأفكار المساقة إلى المخاطبين

1 – أبو زهرة: زهرة التفاسير، 7/ 3634.

2 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 11/ 286.

3 – ينظر – الطنطاوي: التفسير الوسيط، 7/ 133.

4 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 11/ 286.

قصد التّأثير عليهم.

والغرض من هذا الأسلوب الإنكار والتّنويه، فهذا الخطاب جواب لكفار مكّة لما قالوا للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إنّك في ضلال، فاستنكر الله عليهم ذلك، وبين أنّه على الهدى، فيكون الخطاب خرج على مقتضى الظّاهر بهذه المؤكّدات لأنّه موجّه للمنكرين، وفي ذات الوقت هو تنويه بشأن رسول الله، وتثبيت فؤاده ووعده بحسن العاقبة في الدّنيا والآخرة، وهو المعنى المناسب للسّياق، والمتّسق معه أحسن اتّساق.

والمؤكّدة بـ(إِنَّ) في بداية المثل من الجمل الاسميّة، جاءت في مواطن أخرى من المثل الكامن نذكرها باختصار، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف:23).

فقوله: (إِنَّا وَجَدْنَا) جملة اسميّة إخباريّة مؤكّدة بمؤكّدين (إِنَّ) واسميّة الجملة، ونفس الشّيء مع الجملة التي بعدها (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل:128).

قوله: (إِنَّ اللّهَ) جملة اسميّة إخباريّة مؤكّدة بمؤكّدين (إِنَّ) واسميّة الجملة، والجملة التي بعدها (وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) مؤكّدة بالأولى بسبب العطف، بمعنى (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ يحسنون).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق:6).

قوله: (إِنَّكَ) جملة اسميّة إخباريّة مؤكّدة بمؤكّدين (إِنَّ) واسميّة الجملة.

وقوله تعالى: ﴿وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية:19).

قوله: (إِنَّ الظَّالِمِينَ) جملة اسميّة إخباريّة مؤكّدة بمؤكّدين (إِنَّ) واسميّة

الجملة.

وهناك ما جاء بثلاثة مؤكّدات، وذلك في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (الضحى:4).

فالمثل بدأ بجملة اسميّة إخباريّة مؤكّدة بثلاث مؤكّدات؛ منها اسميّة الجملة، ثمّ بلام الابتداء في لفظ (للآخرة) فاللّام لام التّأكيد، والثّالث أنّها مؤكّدة باللّام الزّائدة في لفظ «لك» فهي لام جرّ زائدة، والمقام يحتاج لهذه المؤكّدات تطمينا لفؤاد رسول الله، حين ظنّ بأنّ الله قد تركه بانقطاع الوحي عنه مدّة من الزّمن، وقد تشمّت به المشركون وقالوا له بأنّ ربّك قد قلاك، بمعنى تركك وتخلّى عنك.

وقبل أن نختم الأسلوب الإخباريّ لننتقل للأسلوب الإنشائيّ، لا بدّ وأن نقف على نوعين من أنواع الأسلوب الإخباريّ، وهما النّفي والشّرط، نظرا لورودهما بقدر معتبر في المثل الكامن، فيحتاجان لبيان مستقلّ حتّى يتّضح حجمهما في هذا النّوع من الأمثال، وإلّا كان الأمر كافيا أن يندرجا ضمن المؤكّدات عند الحديث عن الجملة الفعليّة أو الاسميّة، لكن فصلناهما لما ذكرنا من اعتبار.

ج – النّفي

نعود فنقول بأنّ النّفي أو تكراره من مؤكّدات الخبر، وقد ورد بشكل يحتاج للالتفات في المثل الكامن – بخلاف ما هو عليه في المثل الظّاهر – ولا بأس أن نذكر المواطن التي ورد فيها، سواء في بداية المثل أو داخل بنيته التّركيبيّة، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (البقرة:68).

بدأ المثل بجملة اسميّة خبريّة تفيد النّفي، مع تكريره، فـ(لا) الأولى للنّفي، والثّانية مزيدة لتوكيد الأولى، وهي أصل أدوات النّفي، ولهذا يُنْفَى بها في أثناء الكلام، ولا تأتي بغير تكرار، لأنّ المستفاد منها النّفي إذا دخلت على مفرد خبر أو

صفة أو حال[1]. فمتى وقعت قبل ما ذكرنا وَجَب تكريرُها[2]. وأصل المثل هو جزء من سياق كامل فتفيد (لا) فيه النّفيُ في المستقبل.

وأيضا في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ (نوح:27).

بدأ المثل بجملة فعليّة إخباريّة سبقت بالنّفي «وَلا يَلِدُوا» لا نافية ومضارع وفاعله[3].

والغرض منه التّعليل[4] أي تعليل نوح عليه السّلام لِمَا سيؤول إليه حال قومه من عدم الهداية والبقاء على الضّلال حين طلب من الله إنزال عذاب الاستئصال عليهم[5]، فعلّل طلبه بأنّ أولادهم إن ولدوا لا ينتظر منهم الاستماع إليه وأنّهم سيكونون كفّارًا، ولشدّة يقينه بما سيكونون عليه في المستقبل اعتبرهم كفّارًا منذ ولادتهم، ولو عبّر عن هذا المعنى بلفظه الحقيقيّ لقيل: ولم يلدوا إلّا من سيكون فاجرا كفّارًا، لكن التّعبير على نسق الحقيقة يكون مبتذلا؛ لأنّه لا يوحي بمراده ولا بما يعتمل في نفسه بمثل هذه القوى، ويقوّي هذا الإيحاء إفراغ المجاز في قالب القصر، فقد زاد في تأكيد النّفي.

وأيضا في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر:43).

بدأ المثل بجملة فعليّة إخباريّة بصيغة النّفي «وَلَا يَحِيقُ» لا نافية.

وأيضا في المثل من قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة:256).

بدأ المثل بجملة فعليّة إخباريّة بصيغة النّفي «لا إِكْراهَ» لا نافية.

---

1 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 27/ 119.

2 – ينظر – شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 1/ 420.

3 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 3/ 387.

4 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 10/ 233.

5 – ينظر – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 29/ 213.

وكما ورد النّفي بـ(لا) ورد النّفي بـ(ما) أيضا، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (التوبة:74).

بدأ المثل بجملة فعليّة إخباريّة بصيغة النّفي «وَما نَقَمُوا» الواو حالية. ما نافية وجملة «نَقَمُوا» في محل نصب حال. «إِلَّا» أداة حصر. «أَنْ» حرف مصدريّ[1].

والغرض منه هو الإنكار، وهو تسفيه لهم، واستنكار لهذا المنكر الذي هم فيه[2].

وهذا النّفي يراد به الذّم كذلك، وهو ما يسمّى في البلاغة العربيّة: تأكيد المدح بما يشبه الذّم[3]. بيد أنّ كلام الله العليّ الكبير فيه تأكيد ذمّهم لَا تأكيد مدحهم[4].

أي ما عابوا وأنكروا وكرهوا إلّا ما هو حقيق بالمدح والثّناء، وهو إغناء الله لهم من فضله. والاستثناء مفرغ من أعم العامّ، فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذّم، وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش فلمّا قدم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة اتّسعت معيشتهم وكثرت أموالهم، فجعلوا موضع شكر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم النّقمة، وقيل إنّهم بطروا النّعمة أشراً[5].

ومن النّفي بـ(ما) ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:18).

---

1 – ينظر – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن،1/ 469.

2 – ينظر – عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ): التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة، 5/ 847.

3 – ينظر – الشوكاني: فتح القدير، 2/ 437.

4 – أبو زهرة: زهرة التفاسير، 7/ 3380.

5 – ينظر –محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي أبي الطيب (ت: 1307هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992م، 5/ 351.

بدأ المثل بجملة فعليّة إخباريّة بصيغة النّفي «مَا يَلْفِظُ» ما نافية. أي لنفي الحال، لأنّها دخلت على المضارع «يَلْفِظُ» مضارع فاعله مستتر[1].

ومن النّفي بـ(ما) – أيضا – ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال:33).

أسلوب إخباريّ، و(ما) نافية، فالمثل بدأ بجملة اسميّة دخل عليها النّاسخ (كان) وسبقه النّفي، والمراد منه نفى تعذيبهم في الماضي والحال ورسول الله بينهم دون الاستقبال.

والغرض من مجيء هذا الأسلوب بهذه الصّورة هو بيان سبب الإمهال، لأنّ قريشا دعت الله تعالى أن يهلكهم بعذاب من عنده يستأصلهم، فقالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فلم يجبهم الله لذلك، وأمهلهم ما دام رسول الله فيهم وبين أظهرهم، قال البيضاويّ: «بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتّوقّف في إجابة دعائهم»[2].

وكما ورد النّفي بـ(لا) و(ما) ورد النّفي بـ(لن) أيضا، ومن ذلك ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ (الكهف:20) بدأ المثل بجملة فعليّة إخباريّة بصيغة النّفي «لَن تُفْلِحُوا»، فـ(لن) للنّفي المؤكّد، ويقول الزّمخشريّ أنّها للنّفي المؤبّد، ومهما يكن معنى لن فإنّ النّفي مؤبّد بقوله تعالى: أبدا[3].

والغرض من هذا الأسلوب هو التّعليل[4] فهذه الجملة مفصولة في البيان عن السّابقة؛ لأنّها في مقام التّعليل، والتّعليل بين جملتين من أسباب الفصل البياني بينهما،

1 – ينظر – الدعاس: إعراب القرآن، 3/ 258. ومصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 9/ 288.
2 – البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 3/ 58. والألوسي: روح المعاني، 5/ 187.
3 – ينظر – أبي زهرة: زهرة التفاسير، 9/ 4510.
4 – ينظر – المرجع نفسه، 9/ 4509.

وإلّا فهما منفصلتان في المعنى، إذ العلةّ متّصلة بالمعلول[1].

كما أنّ الغرض يكون للتّشديد والتّحذير[2] من الدّخول في دينهم، أي لن تنجوا من عذاب الله ولن تفوزا بنعيمه الدّائم ورضاه أَبَداً إذَا دخلتم في ملّتهم واعتقدتموها، وفي هذا أخذ الحذر من الأعداء.

وأيضا ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران:92).

بدأ المثل بجملة فعليّة إخباريّة بصيغة النّفي «لَن تَنَالُوا»، (لن) حرف نفي ونصب واستقبال[3]، تخلّص الفعل المضارع للمستقبل، بدل ما هو يصلح للزّمن الحاضر إذا دخلت عليه صار للمستقبل، وقال علماء النّحو والبلاغة أنّ (لنْ) لتوكيد النّفي، وأنّ نفيها أبلغ من نفي لا.

والغرض من هذا الأسلوب في هذا السّياق هو التّحريض[4]، أي التّحريض على الإنفاق وجعله من أعمال البرّ.

د – الشّرط

وأمّا فيما يتعلّق بالشّرط؛ فقد ورد هو – أيضا – في عديد من أمثلة المثل الكامن، بحيث لا يمكن تجاهله، أو التّعرض له بلفتة عابرة دون تخصيص حيّز له بالبيان والتّوضيح؛ حيث يمكن اعتباره سمة أسلوبيّة واضحة في المثل الكامن، وما سنذكره من نماذج كاف في بيان ثقله وحجمه في الأسلوب الإخباريّ لهذا النّوع من

---

1 – ينظر – المرجع السابق، 9/ 4509.

2 – ينظر – أحمد بن محمد بن المهدي، أبي العباس الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، (ت: 1224هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419 هـ، 3/ 258.

3 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 563.

4 – ينظر – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 4/ 5.

الأمثال القرآنيّة.

فمن ذلك ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ (الفرقان:67).

فالمثل جاء جملة اسميّة خبريّة تلتها جملة شرطيّة «إذا» ظرف مستقبل يتضمّن معنى الشّرط. «لَمْ يُسْرِفُوا» جواب إذا أي جواب شرط غير جازم[1].

وأيضا ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف:11).

جملة شرطيّة بأسلوب خبريّ، وقد جرى الظّرف مجرى الشّرط فأدخلت الفاء(فَسَيَقُولُونَ)[2]، فكأنّ المعنى: إذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم[3].

وهذا على قول من قال بذلك، يقول عبّاس حسن في النّحو الوافي: «قد ينزل بعض الظّروف منزلة أداة الشّرط؛ فيحتاج لجملة بعدها جملة بمثابة الجواب، وقد تقترن هذه بالفاء؛ كقوله تعالى: في منكري القرآن: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾. وعلى هذا قول ابن مالك في حكم "خلا وعدا"، في باب "الاستثناء"»[4]. والغرض منه التّعليل[5].

وأيضا من الشّرط ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ (الأنعام:44).

---

1 – ينظر – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 7/ 44.

2 – ينظر – أبي البقاء الكفومي: الكليات، ص: 1074.

3 – ينظر – عثمان بن عمر بن أبي بكر أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب المالكي (ت: 646ه): أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت، عام النشر: 1409 ه – 1989 م، 1/ 215.

4 – عباس حسن (ت: 1398ه): النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة، 2/ 274.

5 – ينظر – ابن مالك: شرح التسهيل، 2/ 208. . وابن هشام: مغني اللبيب، ص: 114.

فالجملة فعليّة إخباريّة شرطيّة «إذا» ظرفيّة شرطيّة غير جازمة «أَخَذْناهُمْ» جواب شرط غير جازم.

ومن الشّرط في المثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم﴾ (آل عمران:135).

جملة اسميّة إخباريّة تحمل معنى الشّرط، (إذا) ظرف شرطيّ متعلّق بالجواب ذكروا[1].

والغرض من هذا الأسلوب الشّرطيّ التّرغيب والتّحذير، التّرغيب في التّوبة والتّحذير من اليأس والقنوط، لذا نرى في جواب الشّرط (ذكروا) ما يفيد اقترانه بالشّرط، أي أنّ ذكر الله يكون عند الارتكاب ولا يكون بينهما تراخ يجعل الشّرّ يفرّخ في النّفس[2]، بمعنى أنّ الشّخص الذي يدخل في جملة المتّقين هو الذي يعود إلى ربّه تائبا فور وقوع المعصية، بحيث لا يسوّف ولا يؤخّر التّوبة حتّى إذا حضره الموت[3].

وكلّ هذا فيه إشارة إلى انفعال القلب المؤدّي بدوره إلى إثارة الانفعال النّفسيّ. جاء في تفسير النّسفيّ: «فيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتّوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته التّائب، وإشعار بأنّ الذّنوب وإن جلّت فإنّ عفوه أجلّ وكرمه أعظم»[4].

ومن ذلك الشّرط في المثل من قوله تعالى:﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل:53).

---

1 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 4/ 312. وابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، 5/ 543.

2 – ينظر – أبي زهرة: زهرة التفاسير، ص: 1415.

3 – ينظر – الطنطاوي: التفسير الوسيط، 2/ 26.

4 – النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 1/ 294.

جملة فعليّة خبريّة شرطيّة «وإذا» ظرف مستقبل يتضمّن معنى الشّرط. «تَجْأَرُونَ» جواب إذا. وهو شرط غير جازم[1].

والغرض منه الإنكار[2] أنكر عليهم تخصيصهم بالجؤار عند الضّرّ في مقابلة تخصيص غيره بالاتّقاء[3]، لأنّ اللّجأ إلى الله عند حصول الضّرّ أعجب إخبارا من الإخبار بأنّ النّعم كلّها من الله[4].

كما أنّه يحتمل أن يكون الغرض منه التّقريع[5] بمعنى: إذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض أو حاجة عارضة، أو شدّة وجهد في العيش ووسائل الحياة، فإليه تصرخون بالدّعاء وتستغيثون به ليكشف ذلك عنكم، علما منكم أنّه لا يقدر على إزالة ذلك إلّا هو[6].

ومن الشّرط في المثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ (النساء:100).

أسلوب إخباريّ وجملة شرطيّة. (مَن) شرطيّة جازمة مبتدأ.. (يَجِدْ) جملة جواب الشّرط في محلّ رفع خبر «مَن»[7].

والغرض منه التّرغيب[8]. يقول الشّوكانيّ: «هذه الجملة متضمّنة للتّرغيب في الهجرة والتّنشيط إليها»[9].

---

1 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 2/ 162. ومصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 5/ 318.

2 – ينظر – الألوسي: روح المعاني، 7/ 405.

3 – ينظر – المرجع نفسه، 7/ 405.

4 – ينظر – التحرير والتنوير، 14/ 177.

5 – ينظر – الألوسي: روح المعاني، 4/ 142.

6 – ينظر – مصطفى المراغي: تفسير المراغي، 14/ 93.

7 –أحمد عبيد لدعاس: إعراب القرآن، 1/ 217. ومصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 2/307.

8 – الألوسي: روح المعاني، 3/ 123.

9 – الشوكاني: فتح القدير، 1/ 583.

ومن الشّرط في المثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء:123).

جملة إخباريّة شرطيّة، «مَنْ» اسم شرط جازم غير مقترِن بالفاءِ، وهو مبتدأ «يُجْزَ» جواب الشّرط مجزوم بحذف حرف العلّة. وفعل الشّرط وجوابه خبر «مَنْ»[1].

والغرض منه التّعليل[2] وذلك أنّ الرّبط بمن الشّرطيّة يحمل معنى السّببيّة فعمل السّوء ممّن يعمل به سبب في أن يجزى بالسّوء. فـ(الله أوعد المفسدين بالشّرّ، ووعد الصّالحين بالثّواب العظيم والنّعيم المقيم، ولكن الأماني تتحكّم في النّفوس، فتتمنّى ما لم تعمل له، وتسير وراء ما تتمنّى من غير أن يربطوا بين العمل والجزاء، والسّبب والمسبّب، فنبّه سبحانه إلى ذلك)[3].

ومن الشّرط في المثل ما جاء في قوله تعالى:﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾ (الكهف:17).

جملة فعليّة إخباريّة شرطيّة «مِنْ» شرطيّة «فَهُوَ» الفاء رابطة «الْمُهْتَدِ» جواب الشّرط. «وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ». شبيهة بإعراب سابقتها.

ومن الشّرط في المثل ما جاء في قوله تعالى:﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾ (الزخرف:36) فعلية إخبارية شرطية «مَنْ» اسم شرط. «نُقَيِّضْ» جواب الشّرط.

ولم يرد الشّرط بـ(من) و(إذا)؛ بل ورد أيضا بـ(لو)، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء:22).

جملة فعليّة خبريّة شرطيّة. فـ«لَوْ» شرطيّة امتناعيّة غير جازمة، «لَفَسَدَتا» اللّام

---

1 – أحمد عبيد لدعاس: إعراب القرآن، 1/ 224 . ومصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 2/ 328.

2 – ينظر – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 5/ 180.

3 – أبو زهرة: زهرة التفاسير، ص: 1869.

واقعة في جواب لو، وماض، والتّاء تاء التّأنيث، والألف فاعل، والجملة لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها جواب شرط غير جازم[1]. والغرض منه الإبطال، يقول الألوسي: «إبطال لتعدّد الإله»[2].

ويقول ابن عاشور: «فهي مسوقة لإثبات الوحدانيّة لا لإثبات وجود الصّانع إذ لا نزاع فيه عند المخاطبين، ولا لإثبات انفراده بالخلق إذ لا نزاع فيه كذلك، ولكنها منتظمة على ما يناسب اعتقادهم الباطل لكشف خطئهم وإعلان باطلهم»[3].

ومن الشّرط في المثل – أيضا – ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام:28).

جملة فعليّة إخباريّة شرطيّة، فـ «لَوْ» شرطيّة، وجملة «لَعَادُوا» جواب شرط غير جازم.

ومن الشّرط – كذلك – ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُم﴾ (آل عمران:159).

جملة فعليّة إخباريّة شرطيّة، فـ «لَوْ» شرطيّة، واللّام واقعة في جواب لو وانفضّوا «لاَنفَضُّوا» جواب شرط غير جازم.

ومن الشّرط بـ «لَوْ» ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ (الأنفال:23).

جملة فعليّة إخباريّة شرطيّة، فـ «لَوْ» شرطيّة، واللّام واقعة في جواب لو، أسمع «لَّأَسْمَعَهُمْ» جواب شرط غير جازم.

ومن الشّرط ما جاء بأداة (أَيْنَمَا) كما هو المثل من قوله تعالى:﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ

1 – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 2/ 283. ومصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 6/ 295.

2 – الألوسي: روح المعاني، 9/ 23.

3 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 17/ 39.

يَاتِ بِخَيْرٍ﴾ (النحل:76).

جملة خبريّة شرطيّة؛ فـ(أَيْنَ) اسم شرط جازم[1] (ما) حرف زائد إعراباً مؤكّد للمعنى. (يأت) مضارع مجزوم جواب الشّرط[2] والغرض منه بيان عدم الجدوى[3].

ومن الشّرط ما جاء بأداة (إن) كما هو المثل من قوله تعالى:﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران:120).

جملة فعليّة إخباريّة شرطيّة. «وَإِن» الشّرطيّة. «يَفْرَحُوا» جواب الشّرط.

وأيضا مع قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ﴾ (الأنفال:19).

جملة فعلية إخباريّة شرطيّة «إِنْ» حرف شرط جازم. «نَعُدْ» جواب الشّرط.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء:8).

جملة فعليّة إخباريّة «إِنْ» حرف شرط جازم، «عُدْنا» جواب شرط لم يقترن بالفاء.

2 – الأسلوب الإنشائيّ

وعندما نقف مع الأسلوب الإنشائيّ نجده ورد في المثل الكامن بأقلّ ممّا عليه الأسلوب الإخباريّ، سواء من حيث الابتداء به، أو داخل التّركيب المثليّ، وقد تمثّلت فيه صيغ الإنشاء المعروفة، من الأمر والنّهي والاستفهام والنّداء، وجاءت متقاربة من حيث العدد، وأقلّها ورودا النّداء، ولم نلحظ فيه أيّ نوع من التّمنّي لا في بداية المثل ولا في صميم بنيته، وأوّل ما نبدأ به الأمر ثمّ نتّبع بالباقي على التّرتيب الذي ذكرناه.

---

1 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 5/ 340.

2 – الجدول في إعراب القرآن، 14/ 359.

3 – ينظر – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 14/ 228.

أ – الأمر

فيما يتعلّق بالأمر من الأسلوب الإنشائيّ نلحظ أنّ بعض الأمثال بدأت بصيغة الأمر وبعضها الآخر جاء الأمر في ثناياه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً﴾ (آل عمران:30).

فالمثل بدأ بجملة فعليّة إنشائيّة لفعل أمر محذوف تقديره: اذكر يوم، يقول ابن هشام: «وَإِنَّمَا هُوَ نصب بِمَحْذُوف تَقْدِيره اذْكروا أَو احْذَرُوا»[1] وابن جرير الطّبري قدّره "اتقوا" فقال: «لأنّه في القرآن في غير موضع: "واتقوا يوم كذا، وحين كذا"»[2]. و«يَوْمَ» مفعول فيه ظرف زمان معلّق بفعل محذوف تقديره اذكر[3].

والغرض من هذا الأسلوب هو التّرغيب والتّرهيب، يقول الرّازيّ: «اعلم أنّ هذه الآية من باب التّرغيب والتّرهيب»[4].

ومن صيغ الأمر – كذلك – ما نلاحظه في المثل من قوله تعالى: ﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف:31).

حيث نرى المثل بدأ بجملة فعليّة إنشائيّة فيها الأمر ثمّ أردفه النّهي. فتمثّل الأمر في قوله: (وكُلُوا)، (وَاشْرَبُوا)، والنّهي في قوله: (وَلاَ تُسْرِفُوا). وهنا نرى بأنّ الجملتين اتّفقتا في الإنشائيّة لفظًا ومعنى[5]. أي: كونها جملا إنشائيّة؛ واردة إمّا بصيغة الأمر، وإمّا بصيغة النّهي، ومعناها جميعا على الإنشاء، ومن ثمّ حسن الْعَطف فوُصل بينها.

والغرض من هذا الأسلوب هو الإبطال، يقول ابن عاشور: «والمقصود من

---

1 – ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص: 699.

2 – الطبري: جامع البيان، 6/ 319.

3 – أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن، 1/ 131.

4 – الرازي: مفاتيح الغيب، 8/ 195.

5 – ينظر – حامد عونى: المنهاج الواضح للبلاغة، 2/ 123.

توجيه الأمر أو من حكايته إبطال التّحريم الذي جعله أهل الجاهليّة بأنّهم نقضوا به ما تقرّر في أصل الفطرة ممّا أمر الله به بني آدم كلّهم، وامتنّ به عليهم، إذ خلق لهم ما في الأرض جميعا»[1].

ومن صيغ الأمر – أيضا – ما نلاحظه في المثل من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾ (مريم:75).

بدأ المثل بجملة فعليّة إنشائيّة بدأت بفعل الأمر «قُلْ» فهو أمر فاعله مستتر[2] وبعده جملة الشّرط (من) اسم شرط مبتدأ. وجملة «فلْيَمْدُد» جواب الشّرط، واللّام لام الأمر الجازمة[3]، استعملت مجازا في لازم معنى الأمر، أي التّحقيق[4].

وهذا النّوع من الأسلوب في قوله: «فلْيَمْدُد» يبدأ بالإنشاء أي إطلاق الأمر ويراد به الإخبار مجازا. «معناه: فسيمد له الرّحمن مدّا، أو فليمدّن الرّحمن مدّا»[5]. أي أنّ ذلك واقع لا محالة على سنّة الله في إمهال الضّلال، إعذارا لهم[6]. والغرض منه التّعجب[7].

وأيضا من صيغ الأمر في المثل الكامن ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَاكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر:3).

نرى المثل بدأ بجملة فعليّة إنشائيّة بصيغة الأمر، في لفظ (ذَرْهُمْ) فـ(ذَرْ) فعل أمر، و(هُمْ) ضمير متّصل.

---

1 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 8–ب/ 94.

2 – أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن، 2/ 250.

3 – ينظر – أحمد بن محمد الخراط: المجتبى من مشكل إعراب القرآن، 2/ 679.

4 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 16/ 156.

5 – عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح (ت: 392هـ): المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، الطبعة: الأولى في ذي الحجة سنة 1373هـ – أغسطس سنة 1954م، ص: 317.

6 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 16/ 156.

7 – ينظر – ابن مالك الطائي: شرح تسهيل الفوائد، 3/ 36.

والغرض منه التّهديد والوعيد، يقول الطّبريّ: «وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتّهديد»[1].

كما يمكن أن يكون الغرض التّوبيخ والإنذار، يقول ابن عاشور: «أمر للتّوبيخ والتّوعّد والإنذار بقرينة قوله: فسوف يعلمون. وهو كقوله: كلّوا وتمتّعوا قليلا إنّكم مجرمون»[2].

كذلك الأمر مع المثل في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التوبة:105).

بدأ المثل بجملة فعليّة إنشائيّة بدأت بفعل الأمر «قُلِ» أمر فاعله مستتر «اعْمَلُوا» أمر وفاعله.

وأيضا قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (المائدة:100).

بدأ بجملة فعليّة إنشائيّة بصيغة الأمر «قُل» أمر فاعله مستتر وبعده جملة نفي «لاَّ يَسْتَوِي» وبعدها جملة شرطيّة «وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ».

فهذه هي أهمّ المواطن التي وردت بصيغة الأمر في المثل الكامن، والآن ننتقل لصيغة النّهي، وهي كذلك وردت تقريبا بنفس المقدار الذي وردت به صيغة الأمر، فبينهما تماثل من حيث الورود.

ب – النّهي

فمن صيغ النّهي ما نلاحظه في قوله تعالى لنبيّه في شأن الصّلاة: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ (الإسراء:110).

1 – الطبري: جامع البيان،13/ 285.

2 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 14/ 14.

فنلحظ المثل قد بدأ بجملة فعليّة إنشائيّة بصيغة النّهي. فقوله: «وَلا تَجْهَرْ» الواو عاطفة ولا ناهية جازمة «تَجْهَرْ» مضارع مجزوم. «وَلا تُخافِتْ» مثل إعرابها[1]. فـ(لا) حرف جزم يفيد طلب الكفّ عن القيام بالفعل، وهذا الحرف يدخل على الفعل المضارع، وغالبا ما يدخل على الفعل المسند إلى المخاطب[2].

وهنا النّهي نراه ورد على حقيقته، وهو طلب الكفّ عن الشّيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام[3].

ومن صيغ النّهي في المثل الكامن ما وارد في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (الإسراء:29).

بدأ المثل بجملة فعليّة إنشائيّة بصيغة النّهي، فقوله: «وَلا تَجْعَلْ» الواو عاطفة ولا ناهية «تَجْعَلْ» مضارع مجزوم بلا النّاهية. وأيضا في قوله: «وَلا تَبْسُطْها» معطوف على ولا تجعل وإعرابها مثلها[4].

والغرض منه التّعريض للّأمة والتّعليم لها[5] فالآية التي منها هذا المثل أتت تعليما بمعرفة حقيقة من الحقائق الدّقيقة فكانت من الحكمة، المتعلّقة بالاعتدال في الإنفاق، وجاء نظمها على سبيل التّمثيل فصيغت الحكمة في قالب البلاغة[6].

ومن صيغ النّهيّ في المثل الكامن ما وارد في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (البقرة: 35).

---

1 – أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن، 2/ 207. وظاهر شوكت البياتي: أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ – 2005 م، ص: 190.

2 – ظاهر شوكت البياتي: أدوات الإعراب، ص: 189.

3 – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 76.

4 – أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن، 2/ 188.

5 – ينظر – الشوكاني: فتح القدير، 3/ 264.

6 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 15/ 84.

بدأ المثل بجملة فعليّة إنشائيّة بصيغة النّهي فـ(لا) ناهية جازمة[1]. قال الزّجّاج وهو: «جزم بالنّفي»[2].

والغرض من هذا هو التّنبيه، ولذا أردفه بهاء التّنبيه في اسم الإشارة (هذه)، يقول البيضاويّ: «تنبيهاً على أنّ القرب من الشّيء يورث داعية، وميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عمّا هو مقتضى العقل والشّرع»[3].

كما أنّه يمكن أن يكون الغرض هو الاختبار، فهو: «نهي أُريد به اختبار آدم وحواء»[4].

ومن صيغ النّهي في المثل الكامن ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ (إبراهيم:22).

بدأ المثل بجملة فعليّة إنشائيّة مصدّرة بالنّهي (لاَ تَلُومُونِي) «لا» ناهية «تَلُومُونِي» مضارع مجزوم بلا النّاهية، وآخرها جملة إنشائيّة أيضا بصيغة الأمر (لُومُوا) فعل أمر وفاعله.

ونلحظ أنّ النّهيّ هنا خرج عن حقيقته؛ فهو ليس من الأعلى للأدنى على وجه الاستعلاء حتّى يستوجب الإلزام، لذا كان الغرض منه الإبطال، أي: «إبطال لإفراده باللّوم، أو لابتداء توجيه الملام إليه في حين أنّهم أجدر باللّوم أو بابتداء توجيهه»[5].

ومن صيغ النّهي – أيضا – ما جاء في قوله تعالى: ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (المائدة:101).

---

1 – أحمد عبيد الدعاس إعراب القرآن، 1/ 21.

2 – الزجاج: معاني القرآن وإعرابه،1/ 114.

3 – البيضاوي: أنوار التنزيل، 1/ 72.

4 – مجمع البحوث: التفسير الوسيط،1/ 79.

5 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 13/ 219.

بدأ المثل بجملة فعليّة إنشائيّة بصيغة النّهي «لاَ تَسْأَلُوا» مضارع مجزوم بلا النّاهية. وآخر المثل جملة إخباريّة بصيغة الشّرط (إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)، فـ «إِنْ» الشّرطيّة، و«تَسُؤْكُمْ» جواب الشّرط.

والنّهيّ هنا عن حقيقته من الأعلى للأدنى على وجه الاستعلاء، يراد منه وجوب للالتزام، فقد ورد النّهي عن الشّيء الذي لم يكن لهم بهم حاجة وتركه حتّى يأت وقته أو ينزله الله من غير أن يسألوا عند اقتضاء أمره.

فهذه هي أهمّ صيغ النّهيّ التي وردت في الأمثال الكامنة، وننتقل بعدها للاستفهام.

ج – الاستفهام

فيما يتعلّق بصيغة الاستفهام نبدأ بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة:260).

بدأ المثل بجملة فعليّة إنشائيّة تمثّلت في الفعل الماضي (قال) وكان مقوله جملة استفهاميّة تمثّلت في قوله: (أَوَلَمْ) فهي جملة مقول القول (الهمزة) للاستفهام التّقريريّ على هذه الحالة[1]، لأنَّ الاستفهامَ إذا دخل على النّفي، قَرَّره[2]، والجملة جاءت مستأنفة بمثابة التّقرير للواقع، أي: أتسأل ولم تؤمن[3]، والواو عاطفة (لم) حرف نفي وقلب وجزم[4].

وهذا الأسلوب غرضه التّقرير قصد إثبات الإيمان المنفي، لأنّ قوله (أَوَلَمْ

1 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 3/ 40. وأحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 111. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/ 38.

2 – ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، 4/ 365.

3 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 402.

4 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 3/ 40. وأحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 111.

تُؤْمِن) بمثابة (لَمْ تُؤْمِن) ولهذا جاء الجواب بـ(بلى) لأنّ بلى لا تأتي إلّا بعد نفي؛ فهي حرف جواب يقصد به الإيجاب بمعنى (نعم)، ويكون جوابا في حالة الإيجاب على السّؤال المتبوع بنفي[1].

فقوله: (بَلى) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الإيمان، وأتى بـ«بلى» التي هي حرف جواب لتثبت الإيمان المنفي[2] المقصود من هذا السّؤال أن يجيب بما أجاب به ليعلم السّامعون أنّه عليه السّلام كان مؤمنا بذلك عارفا به وأنّ المقصود من هذا السّؤال شيء آخر[3]. لأنّ الاستفهام إنّما هو عن أمر متقرّر الوجود عند السّائل والمسؤول على السّواء[4].

وعليه فـ(الجملة مستأنفة بمثابة التّقرير للواقع، أي: أتسأل ولم تؤمن[5]، الجملة مستأنفة بمثابة التّقرير للواقع، والهمزة للاستفهام التّقريريّ، لأنّ التّقرير منسحب على الجملة المنفيّة، ولذلك كان الجواب: ببلى، وقد تقرّر في علم النّحو أنّ جواب التّقرير المثبت، وإن كان بصورة النّفي، تجريه العرب مجرى جواب النّفي المحض، فتجيبه على صورة النّفي، ولا يلتفت إلى معنى الإثبات.

كما أنّه يمكن أن نستشّف من هذا الأسلوب غرضا آخر، وهو: تنبيه وإرشاد إلى ما ينبغي أن يقف عنده الإنسان ولا يعدوه، فإنّ الإيمان بهذا السّرّ الإلهيّ والتّسليم فيه لخبر الوحي، هو غاية ما يطلب من البشر، ولو كان وراء ذلك سبيل آخر لبيّنه الله تعالى[6].

---

1 – ظاهر شوكت البياتي: أدوات الإعراب، ص: 70.

2 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 402.

3 – الرازي: مفاتيح الغيب، 7/ 36.

4 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 1/ 402.

5 – المرجع نفسه، 1/ 402.

6 – مصطفى المراغيّ: تفسير المراغي، ص: 503.

ومن صيغ الاستفهام – أيضا – ما جاء في قوله تعالى: ﴿قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ (يوسف:64).

جاء المثل جملة فعليّة (قالَ) فعل ماض، والفاعل هو، أي يعقوب عليه السّلام، يتخلّلها جملة إنشائيّة استفهاميّة (هَلْ آمَنُكُمْ)، وهي جملة مقول القول، مستأنفة جواب سؤال مقدّر[1]. فـ(هل) حرف استفهام وفيه معنى النّفي[2].

والاستفهام – هنا – إنكاريّ[3]. فيه معنى النّفي، فهو يستفهم عن وجه التّأكيد[4] لإنكار الوقوع، وهو وقوع الأمن، أي ليس أمني عليه منكم، إلّا كأمني على يوسف منكم، وقد كانت نتيجة الأمن في الماضي أن جئتم تبكون، وتقولون أكله الذّئب، فلستم أنتم الذين تحفظون أخاكم[5].

فقد استنكر عليهم طلبهم في تسليم بنيامين وهم من ضيّع يوسف وكادوا له. فمن لم يحفظ العهد في الأوّل لا يحفظه في الثّاني. وهذا يبيّن ما في نفس يعقوب من خوف على ابنه بنيامين وما يحمله من وجد اتجاههم لمّا لم يحفظوا عهده. وهي حال نفسيّة تبعث على القلق وعدم الارتياح نحوهم.

والمعنى أنّكم ذكرتم قبل هذا الكلام في يوسف وضمنتم لي حفظه حيث قلتم: ﴿وإنّا له لحافظون﴾ (يوسف: 12). ثمّ هاهنا ذكرتم هذا اللّفظ بعينه فهل يكون هاهنا أماني إلّا ما كان هناك، يعني لما لم يحصل الأمان هناك فكذلك لا يحصل هاهنا[6].

كما أنّ النّوع من الاستفهام يمكن أن يخرج عن أصله أيضا ويراد منه التّوقيف

---

1 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 5/ 17. والشوكاني: فتح القدير، 3/ 46.

2 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 13/ 21.

3 – الألوسي: روح المعاني، 7/ 12

4 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 13/ 16.

5 – أبو زهرة: زهرة التفاسير، 7/ 3839.

6 – ينظر – الرازي: مفاتيح الغيب، 18/ 479.

والتّقرير[1] فهو لم يصرّح بمنعهم من حمله لما رأى في ذلك من المصلحة، لكنّه أعلمهم بقلّة طمأنينته إليهم، ولكن ظاهر أمرهم أنّهم قد أنابوا إلى الله سبحانه، وانتقلت حالهم، فلم يخف على بنيامين، كخوفه على يوسف[2].

ومن صيغ الاستفهام في المثل الكامن ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ (الفرقان:20).

جاء الاستفهام في قوله: (أَتَصْبِرُونَ) فالأسلوب إنشائيّ والهمزة للاستفهام، ومعنى الاستفهام هنا ليس على حقيقته؛ بل يراد منه الأمر، أي: اصبروا[3].

جاء في كتاب البلاغة العربيّة: «كثيرا ما يتلطّف المتكلّم بالمخاطب فيوجّه له الأمر بأسلوب الاستفهام، والأمر يشمل كلّ ما تستعمل له صيغة الأمر من تكليف، أو نصيحة، أو موعظة، أو إرشاد، أو دعاء، أو التماس، أو غير ذلك»[4].

والغرض منه في هذا المثل التّرغيب والتّحريض، والمراد اصبروا فإنّي ابتليت بعضكم ببعض[5]. كما أنّه مع السّياق يراد منه التّقرير كما هو حال الجملة التي قبله (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) وهذا ما اختاره الرّازيّ، حيث يقول: «أتصبرون استفهام والمراد منه التّقرير وموقعه بعد ذكر الفتنة موقع أيّكم بعد الابتلاء في قوله: ليبلوكم أيكم أحسن عملا»[6].

ومن صيغ الاستفهام في المثل الكامن – كذلك – ما جاء في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ (الإنسان:1).

---

1 – ينظر – الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 3/ 336.

2 – ينظر – المرجع نفسه، 3/ 336.

3 – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 6/ 685. وحبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 289.

4 – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 288.

5 – الألوسي: روح المعاني، 9/ 443.

6 – الرازي: مفاتيح الغيب، 24/ 447.

فالمثل بدأ بجملة إنشائيّة بصيغة الاستفهام يراد منها الإخبار، قال الرّازيّ: «لأنّ الاستفهام، إنّما يجاب بلا أو بنعم، فإذا كان المراد هو الخبر، فحينئذ يحسن ذلك الجواب الثّاني: أنّ الاستفهام على الله تعالى محال فلا بدّ من حمله على الخبر»[1].

فـ(هَلْ) حرف يفيد الاستفهام ومعنى التّحقيق، وهو بمعنى «قد»[2]. كما أنّها تكون على معناها الأصلي الذي هو التّقرير[3].

وعلى ذلك فإن كان الاستفهام بمعناه الأصلي، فالغرض هو التّقرير والتّوبيخ[4]، وهو تقرير لمن أنكر البعث فلا بدّ أن يقول نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه[5]. وإن كان الاستفهام بمعنى «قد» فالغرض هو التّشويق[6]. بمعنى: قد أتى على الإنسان حين من الدّهر. ويبيّن ابن عاشور المغزى من هذا التّشويق فيقول: «وتقديم هذا الاستفهام لما فيه من تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام»[7].

وآخر ما نقف عنده في صيغ الاستفهام ما جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود:81).

فالجملة اسميّة إنشائيّة دخل عليها النّاسخ (ليس) وسبق باستفهام يتمثّل في الهمزة، ويراد منه الإخبار، والهمزة (أ) للاستفهام التّقريريّ، أي: بلى إنّه لقريب.

وهذا الاستفهام يستعمل للنّفي، ولكنّ هذا النّفي دخل عليه إثبات، وهو حرف الباء التي إذا جاءت في خبر المنفي بأسلوب الاستفهام (أليس) لم تكن لتأكيد

---

1 – المرجع السابق، 30/ 739.

2 – ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة، ص: 64.

3 – مكي القيسي: مشكل إعراب القرآن لمكي، 2/ 781.

4 – ينظر – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 10/ 312.

5 – المرجع نفسه والصفحة فسها.

6 – ينظر – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 3/ 406.

7 – ابن عاشور: التحرير والتنوير، 29/ 371.

النّفي، بل تخرجه بيانيّاً من النّفي، إلى تقرير ملزم وإثبات مؤكّد، وفي هذا الأسلوب، تلزم الخبر الباء المقول بزيادتها. بمعنى زائدة في الخبر المنفي، وقد جاء بهذه أسلوب المثل بهذه الصّيغة لتأكيد الوقوع، وقد أكّد بالباء ثمّ كان العذاب الشّديد المبيد بعدها.

فهذه أهمّ المحطات التي ورد فيها الاستفهام في أمثلة المثل الكامن قد أتينا عليها وبيّنا ما فيها، لننتقل لآخر أمر يتعلّق بالأسلوب الإنشائيّ؛ ألا وهو النّداء.

د – النّداء

فالنّداء لم يرد إلّا ثلاث مرّات في الأمثال الكامنة، مرّتين ورد محذوفا، ومرّة ورد فيها مذكورا، فمن المقدّر ما جاء في المثل المتعلّق بقصة موسى – عليه السّلام – لمّا كلّمه الله بغير مشقّة طمع في رؤيته سبحانه وتعالى، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف:143).

فالمثل بدأ بجملة فعليّة خبريّة (قَالَ) وردت ابتدائيّة من غير مؤكّد، وبعدها جملة إنشائيّة هي مقول القول، تتمثل في النّداء المقدّر في «رَبِّ» فهي منادى مضاف محذوف منه حرف النّداء[1]، وحرف النّداء المحذوف هنا هو الياء لأنّها الوحيدة التي تحذف[2]. وقد سبق وأن أشرنا إليها في الجمل الفعليّة من الأسلوب الإخباريّ.

والنّداء الثّاني المقدّر جاء في المثل من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحريم:11).

1 – ينظر – مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه، 3/ 449. ومحمود صافي: الجدول في إعراب القرآن، 9/ 68.

2 – ينظر – الغلاييني: جامع الدروس العربية،3/ 156.

فالمثل – أيضا – بدأ بجملة فعليّة خبريّة (قالَتْ) وردت ابتدائيّة من غير مؤكّد، وبعدها جملة إنشائيّة هي مقول القول، تتمثّل في النّداء المقدّر في «رَبِّ» منادى مضاف إلى ياء المتكلّم المحذوفة[1]، وقد سبق وأن أشرنا إليها – كذلك – في الجمل الفعليّة من الأسلوب الإخباريّ.

وأمّا ما ورد فيها النّداء مذكورا غير محذوف ففي المثل من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾ (البقرة:179).

فقد بدأ المثل بجملة اسميّة خبريّة، فلفظ «حَياةٌ» مبتدأ مؤخر[2]، فصيغت كما نرى ابتدائيّة من غير مؤكّد، ولكن في آخرها جاءت الجملة الإنشائيّة تحت ضرب النّداء، في قوله «يا أُولِي» فالياء أداة نداء، وأولي منادى[3]، وسبق وأن أشرنا إليها في الجمل الاسميّة من الأسلوب الإخباريّ.

وبعد كلّ هذه الجولة الاستقرائيّة التّحليليّة يمكن القول بأنّ الأمثال الكامنة ظاهرة أسلوبيّة في القرآن الكريم، لها مميّزاتها وخصائصها، ومن ذلك التّشكل الأسلوبيّ البلاغيّ الذي شاهدناه من خلال عرضنا، وقد تمحورت نتائجه فيما يلي:

– الأمثال الكامنة الثّلثان منها ورد ابتداء بصيغة الجملة الفعليّة، والثّلث الباقي ورد بصيغة الجملة الاسميّة، وأغلبها – إلّا القليل منها – لا تخلوا من جمل أخرى داخل تركيبها، وقد توزّعت بين الأسلوبين الإخباريّ والإنشائيّ، مع غلبة الأوّل عن الثّاني، مع شيء من التّنوع والثّراء في كلا الأسلوبين، وهذا اقتضته طبيعة المثل الكامن، لأنّه مقتبس حسب المعنى من مواطن مختلفة من القرآن الكريم، وليس له قالب معين يضبطه، وبالتّالي تنوّع بتنوع أساليب القرآن الكريم.

1 – ينظر – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 3/ 360.

2 – ينظر – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 74.

3 – ينظر – أحمد عبيد الدعاس: إعراب القرآن، 1/ 74.

– مجمل الأمثال الكامنة التي وردت بالأسلوب الإخباريّ، وابتدأت بصيغة الجمل الفعليّة و الجمل الاسميّة، أكثرها ورد من غير مؤكّد، سوى ما تحمله الجملة الاسميّة من توكيد في ذاتها لا تحمله الجملة الفعليّة، ومنها ما ورد بالمؤكّدات المختلفة، ومنها ما جاء بتوكيد النّفي أو بالصّيغة الشّرطيّة – كما هو الحال مع الجملة الفعليّة أيضا – وهي ذات ثقل واعتبار من حيث العدد في المثل الكامن.

– أغلب الأساليب الإخباريّة خرجت عن أغراضها الحقيقيّة إلى أغراض أخرى بلاغيّة مختلفة، يقتضيها السّياق والقرائن، كالتّوبيخ، والتّقريع، والذّم، والتّهكم، والتّعليل، والتّقرير، والتّنبيه، والاعتبار، والتّحذير، والإنذار، والإنكار، والتّحقيق، والتّعليل، والتّأييس، والتّحريض، والتّذكير، والإبطال، والارتداع، والتّرغيب، وبيان سنّة الله في المخلوقات، وبيان طلب الرّؤية والتّحايل.. وقد تمّت الإشارة إليها في مواطنها.

– الأسلوب الإنشائيّ أقلّ ممّا عليه الأسلوب الإخباريّ، سواء من حيث الابتداء به، أو داخل التّركيب المثلي، وقد تمثّلت فيه صيغ الإنشاء المعروفة، من الأمر والنّهي والاستفهام والنّداء، وكانت متماثلة ومتقاربة من حيث العدد، وأقلّها ورودا النّداء، ولم نلحظ فيه أيّ نوع من التّمنّي؛ لا في بداية المثل ولا في صميم بنيته.

– وقد خرج الأسلوب الإنشائيّ في أغلبه عن أصله لأغراض أخرى، والتي منها: التّرغيب، والتّحريض، والتّرهيب، والتّهديد، والوعيد، والإبطال، والتّعجب، والتّوبيخ، والإنذار، والتّعريض، والتّعليم، والتّنبيه، والإرشاد، والاختبار، والتّوقيف، والتّقرير، التّشويق.

– المثل الكامن في القرآن الكريم تُفهم دلالته من خلال السّياق الوارد فيه قبل العلاقات القائمة بين وحدات تركيبه، لأنّه لا يحمل في أصله سمات المثل، ولا

الاستقلاليّة الكافية، ولكن تظهر دلالته بالمقاربة مع المثل العربيّ في المعنى، أو حينما يشيع في الاستعمال بين النّاس، فكان لزاما من هذا الإجراء الأسلوبيّ في التّعدّد والتّغير ليتكفل بالموضوعات الكبيرة التي يحويها المثل وتتّسع لها بنيته ويتحمّلها أسلوبه المتنوّع بعلاقاته وروابطه القائمة بين جمله، متفاعلة مع الأنساق الأسلوبيّة الأخرى في النّصّ القرآنيّ.

وبهذا البيان والإيضاح للأسلوب الإخباريّ والإنشائيّ من خلال المثل الكامن ننتقل للحديث عن تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل العربيّ السّائر.

خامسا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل العربيّ السّائر

ونتناول فيه العناصر التّالية:

1 – الأسلوب الإخباريّ

أ – الجمل الفعليّة

ب – الجمل الاسميّة

ج – النّفي

د – الشّرط

2 – الأسلوب الإنشائيّ

أ – الأمر

ب – النّهيّ

ج – الاستفهام

د – النّداء

ه – التّمنّي

توطئة

الأمثال التي ذكرها المفضّل الضّبّيّ كثيرة، وقد ذكرها بقصصها، ويطول بنا المقال في ذكر نماذج منها مع قصصها، ولذا سنذكر بعض الأمثال مجرّدة من غير قصص، ولا ريب أنّنا أثناء دراستها سنستعين بذلك لبيان دلالتها، ومن تلكم الأمثال السّائرة التي أوردها، ما يلي:

تَسْمَعُ بالمُعْيِدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ[1].

سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ[2].

حَلِمَ الأدِيمُ[3].

يَتَّبِعُونَه بأبْلَخٍ جَهُولٍ[4].

أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ[5].

قَدْ لَا يُقَادُ بِي الجَمَلُ[6].

رَمَتْنِي بِدَائِها وانْسَلَّتْ[7].

تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائَةٍ غَلْوة[8].

باءَتْ عَرَارِ بِكَحْلَ[9].

---

1 – المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضّبّيّ (ت: نحو 168هـ): أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1403هـ = 1983م، ص: 35.

2 – المرجع نفسه، ص: 48.

3 – المرجع نفسه، ص: 60.

4 – المرجع نفسه، ص: 61.

5 – المرجع نفسه، ص: 68.

6 – المرجع نفسه، ص: 75.

7 – المرجع نفسه، ص: 76 .

8 – المرجع نفسه، ص: 85.

9 – المرجع نفسه، ص: 107.

ذَكَّرَنِي فُوكِ حِمَارَيْ أَهْلِي[1].

مَلَكْتَ فأسْجِحْ[2].

اسْتُ (أسئت) البَائِن أَعْلَمُ[3].

تَجَاوَزْتَ أتَتْك بحَائِنٍ رِجْلاَهُ[4].

قَدْ أَنْصَفَ القَارَةَ مَنْ رَامَاهَا[5].

شُبَيْثاً والأحَصَّ[6].

تَمَرَّدَ مارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلُق[7].

شبَّ عَمْرو عَن الطَّوْقِ[8] .

عَلِقَتْ مَعَالِقِهَا وَصَرَّ الجُنْدَبُ[9].

قَدْ جِئْتُ بِمَا صَأَى وَصَمَتَ[10].

قَدْ يَضْرَطُ العَيْرُ وَالمِكْوَاةُ فِي النَّارِ[11].

أُعْطَي العَبْد كُرَاعًا فَطَلَبَ ذِرَاعاً[12].

---

1 - المرجع السابق، ص: 116.

2 - المرجع نفسه، ص: 118.

3 - المرجع نفسه، ص: 120.

4 - المرجع نفسه، ص: 123.

5 - المرجع نفسه، ص: 127.

6 - المرجع نفسه، ص: 130.

7 - المرجع نفسه، ص: 144.

8 - المرجع نفسه، ص: 150.

9 - المرجع نفسه، ص: 167.

10 - المرجع نفسه، ص: 146.

11 - المرجع نفسه، ص: 165.

12 - المرجع نفسه، ص: 149.

عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً[1].

مَنْ عَزَّ بَزَّ[2].

رُوَيْداً يَعْلُونَ الجَدَدَ[3].

الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ[4].

لأَمْرٍ مَّا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ[5].

عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقشُ[6].

وفي النَّوَى يَكْذِبُكَ الصَّادِقُ[7].

هَذَا ومَذْقَةٌ خَيرٌ[8].

الْعَاشِيَةُ تُهَيِّجُ الآبِيَّةَ[9].

الْفِرَارُ بِقِرَابٍ أَكْيَسُ[10].

عَوْفٌ يَرْنَأُ فِي الْبَيْتِ[11].

سَاَعِدَايَ أَحْرَزُ[12].

---

1 - المرجع السابق، ص: 140.

2 - المرجع نفسه، ص: 124.

3 - المرجع نفسه، ص: 86.

4 - المرجع نفسه، ص:51.

5 - المرجع نفسه، ص: 146.

6 - المرجع نفسه، ص: 151.

7 - المرجع نفسه، ص: 163.

8 - المرجع نفسه، ص: 51.

9 - المرجع نفسه، ص: 63.

10 - المرجع نفسه، ص: 66 .

11 - المرجع نفسه، ص: 70.

12 - المرجع نفسه، ص: 75.

يَدَاكَ أو كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ[1].

مَالِي بَيْنَ بَنِيَّ[2].

وَيْلٌ لِلشَّعْرِ مِنْ رِاوَيَةَ الشِّعْرِ[3].

هَذا جَنايَ وخِيَارُهُ فِيهِ[4].

هذَا حِرٌ مَعْرُوفٌ وَكُنْتُ الْبَارِحَة فِي حِرٍّ مُنْكَرٍ[5].

هذَا حَظُّ جَدٍّ مَنَ الْمَبْنَاةِ[6].

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما[7].

عندما نقوم بعملية استقراء للأمثال العربيّة الفصيحة التي ذكرها الضّبّيّ في كتابه أمثال العرب؛ نجد أنّه طغى عليها الأسلوب الإخباريّ، وذلك لأنّها تحكي حوادث قد وقعت، وتروي حكايات قد حصلت ومضت، ثمّ بعده الأسلوب الإنشائيّ، كما أنّه وردت في مجموعة منها بغير مؤكّدات، ومنها ما ورد بالمؤكّدات، وكما اختلف الأسلوب الإخباريّ، اختلف مثله الأسلوب الإنشائيّ من حيث كيفية وروده فيها، وهذا الاختلاف دفعنا – من قبل والآن – لأن نعرض كلّ نوع من الأسلوبين على شكل عناصر ليظهر لنا مقدار وحجم كلّ جزئيّة فيهما على ما وردت عليه في المثل العربيّ الفصيح، ومن تلك العناصر جميعا يتشكّل لدينا التّصوّر الكامل لكلّ أسلوب، ومن هذا سوف ننهج في هذا العنصر ما انتهجناه في العنصرين

1 – المرجع السابق، ص: 117.

2 – المرجع نفسه، ص: 141 .

3 – المرجع نفسه، ص: 141 .

4 – المرجع نفسه، ص: 149.

5 – المرجع نفسه، ص: 152.

6 – المرجع نفسه، ص: 157.

7 – المرجع نفسه، ص: 167.

السّابقين، وعليه فكسابقه فإنّ أوّل ما نبدأ به هو:

1 – الأسلوب الإخباريّ

لقد اتّبعنا في العنصرين السّابقين منهجا تمثّل في البدء بالجمل الفعليّة، ثمّ نتبعها بالجمل الاسميّة، ثمّ نقف مع النّفي وبعدها الشّرط، وهذا من باب أنّ الجمل الفعليّة أقلّ تأكيدا، فنوردها ابتداء، ثمّ نتبعها بالمؤكّدات التي فيها، ثمّ نعرّج على الجملة الاسميّة لأنّها وإن كانت مجرّدة من المؤكّدات فهي تحمل تأكيدا أوّليا في ذاتها – كما أشرنا سابقا وبيّنا ذلك – ثمّ نتبعها بما فيها من مؤكّدات، وكأنّنا نبدأ بالأقلّ في التّأكيد إلى الأكثر تأكيدا، كما لا يفوتنا ونحن نتعرّض للجملتين إمّا أن نذكر التّناوب بينهما من خلال سرد ما جاء باعتبار الابتداء في المثل، فنغلّب الابتداء ونذكر التّناوب في كلّ قسم من الأقسام، كما فعلنا مع المثل الكامن، أو نذكر ذلك مستقلّا كما فعلنا مع المثل الظّاهر وهذا لاعتبار طول المثل الذي لا يسمح بدراسة أمثال كثيرة فخصّصناه في عنصر مستقلّ لبيان ذلك والإشارة إليه لا لحصره، ثمّ بعدهما نتعرّض للنّفي إذ وجدناه يشكلّ حجما معتبرا في صياغة المثل؛ وذلك لما يحمله النّفي من قوّة في التّأكيد، تفوق أحيانا المؤكّدات التّقليديّة المعروفة، وقد بيّنا هذا فيما سبق، ثمّ بعد هذا نتعرّض للشّرط فقد وجدناه ورد بمقدار ذي بال يحتاج للإشارة والاهتمام، ولما يحمله من خصوصية في الأسلوب الإخباريّ أشرنا إليها في البداية مبيّنين الاختيار الذي اخترناه في هذا النّوع من الجمل، ولهذه الاعتبارات جعلناه تحت الإخباريّ وتمّ إفراده بالكلام.

أ – الجمل الفعليّة

لقد تنوّعت الأمثال السّائرة بين الجمل الاسميّة والفعليّة، وهذا ينسجم تماما مع سيرورتها وبنيتها ودلالتها، لذا نجد مجموعة منها ورد جملة فعليّة إخباريّة خالية من المؤكّدات، من ذلك:

تَسْمَعُ بالمُعْيِدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ[1].

سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ[2].

حَلِمَ الأدِيمُ[3].

يَتَّبِعُونَه بأبْلَخٍ جَهُولٍ[4].

أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ[5].

رَمَتْنِي بِدَائِها وانْسَلَّتْ[6].

تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائَةٍ غَلْوة[7].

باءَتْ عَرَارِ بِكَحْلَ[8].

ذَكَّرَنِي فُوكِ حِمَارَيْ أَهْلِي[9].

مَلَكْتَ فأسْجِحْ[10].

اسْتُ (أسئت) البَائِنِ أَعْلَمُ[11].

تَجَاوَزْتَ أتَتْك بحَائِنٍ رِجْلاَهُ[12].

---

1 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 35.

2 – المرجع نفسه، ص: 48.

3 – المرجع نفسه، ص: 60.

4 – المرجع نفسه، ص:61.

5 – المرجع نفسه، ص: 68.

6 – المرجع نفسه، ص: 76 .

7 – المرجع نفسه، ص: 85.

8 – المرجع نفسه، ص: 107.

9 – المرجع نفسه، ص: 116.

10 – المرجع نفسه، ص: 118.

11 – المرجع نفسه، ص: 120.

12 – المرجع نفسه، ص: 123.

شُبَيْثاً والأحَصَّ[1].

تَمَرَّدَ مارِدٌ وَعَزَّ الأبْلَق[2].

شبَّ عَمْرو عَن الطَّوْقِ[3] .

عَلِقَتْ مَعَالِقِهَا وَصَرَّ الجُنْدَبُ[4].

فهذه الجمل الفعليّة كلّها كما نرى إخباريّة، تفيد معنى الخبر، وقد وردت من غير مؤكّدات، أي ابتدائيّة ألقيت لخالي الذّهن، وهو الذي لم يسبق له علم بالخبر، أو من ينزل منزلة خالي الذّهن، فلا يحتاج إلى توكيد الخبر وإلّا صار في الكلام حشوٌ، والحشو هو الذي حذفه أولى من ذكره، ومن هنا كانت الأمثال موجزة غاية الإيجاز، وبعيدة عن كلّ إطناب، ومع ذلك تتحقّق منها الفائدة أو لازم الفائدة. قال أهل المعانيّ: «إذا ألقيت الجملة إلى من هو خالي الذّهن استغني عن مؤكّدات الحكم»[5].

ولهذا لا يؤكّد العربيّ الفعل في هذه الحال، لأنّ المستمع يكون خالي الذّهن من الخبر، غير متردّد فيه، ولا منكر له؛ ممّا ينفي الحاجة إلى توكيده، ومع ذلك أشبعت دلالاتها، وتعمّقت في بنيتها، ولم تبق مجرّد أخبار أو حدث معين، بل تعدّت دلالتها زمنها وأصحابها، فأصبحت حِكَما ونصائح وإرشادات وتوجيهات، لا تقف عند المتكلّم الأوّل.

وبعض الجمل الفعليّة الأخرى جاء طلبيّا بمؤكّد واحد أو اثنين، وتنوّعت فيه

---

1 – المرجع السابق، ص: 130.

2 – المرجع نفسه، ص: 144.

3 – المرجع نفسه، ص: 150.

4 – المرجع نفسه، ص: 167.

5 – بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي أبو محمد (ت: 749هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1413 هـ – 1992 م، ص: 130.

المؤكّدات، كما هو ظاهر في بداية مجموعة منها، وهذا النّوع من الأخبار يلقى لمن يعرف الخبر وعنده به علم مسبق؛ لكنّه متردّد فيه – وقد يكون المتكلّم نفسه – فيطلب تأكيده ليصدّقه، ويذهب عنه ذلك التّردّد، وبالتّالي يعيد المتلقّي النّظر في معنى الخبر من جديد، وقد يخرج أحيانا عن أصله ولا يأت على مقتضى الظّاهر لغرض بلاغيّ ما، فينزّل خالي الذّهن منزلة المتردّد، أو حتّى المنكر، ولكنّه في المثل السّائر قليل لجانب الأصل، وهو خروجه على مقتضى الظّاهر، كما نلاحظه في الأمثال التّالية:

قَدْ أَنْصَفَ القَارَةَ مَنْ رَامَاهَا[1].

قَدْ جِئْتُ بِمَا صَأَى وَصَمَتَ[2].

فنرى في هذه الأمثال أنّها بدأت بالتّوكيد بلفظ "قد" التي جاءت قبل الفعل الماضي، فتفيد التّوكيد والتّحقيق، ففي كلا المثلين الأمر محقّق سواء الإنصاف أو المجيء أو قريبا التّحقّق. كما أنّها تؤكّد الحكم الوارد في المثل وتضاعف الدّلالة وتقوّيها كما هو واضح في هذه الأمثلة.

ونفس الشّيء في هذا المثل: أَضَرِطاً آخِرَ الْيَوْمِ وَقَدْ زَالَ الظُّهْرُ[3]. إلّا أن الجملة الفعليّة المؤكّدة بـ(قد) لم تكن في صدارة المثل، ولكنّها متضمّنة فيه، وهذا التّحقيق يكون في أغلب الأحيان.

وقد تخرج (قد) في بعض الأحايين فتفيد التّوقّع، وخاصّة عندما تأتي مع المضارع، ولذلك تستعمل في الأشياء المترقّبة، كما في المثل: قَدْ نَرَاكَ فَلَسْتَ بِشَيء[4]. فهو في المستقبل المرتقب، ويفيد التّكثير، بمعنى متوقّع كثرة الرّؤية.

---

1 – المرجع السابق، ص: 127.

2 – المرجع نفسه، ص: 146.

3 – المرجع نفسه، ص: 159.

4 – المرجع نفسه، ص: 125.

وأيضا كما في قوله: قَدْ يَضْرَطُ العَيْرُ وَالمِكْوَاةُ في النَّارِ[1]. فهنا متوقّع الضَرَطُ من المريض حين توضع عليه النّار أثناء الكيّ، وفي هذا المثل بيّان لشدّة الفزع التي قد تصيب الشّخص فتؤدّي به لما هو متوقّع. وعليه فالمثل في أصله «يضْرب مثلا للبخيل يعْطى على الْخَوْف»[2].

كما أنّه معلوم أنّ المؤكّد (قد)، إن دخل على المضارع أَفاد تقليل وقوعه، أو بمعنى: تفيد الظّنّ والشّكّ، كما في المثل الآتي: قَدْ تُخْرِجُ الخَمْرُ مِنْ الضَّنينِ[3]. فهنا أيضا خروج الشّيء من البخيل قليل الوقوع، ومع ذلك قد يقع لسبب ما، لذا يراد به التّقليل – هنا – تناسبا مع حال البخيل الذي يغلب عليه عدم العطاء، يقول أبو هلال العسكريّ: «يضْرب مثلا للرّجل يعْطى عِنْد السّكر وَعند الْمَدْح وَغَيره مِمَّا يعرض لَهُ من سَبَب يسهل عَلَيْهِ مَعَه الْإِعْطَاء وَأَصله»[4].

كما أنّنا نرى (قد) جاءت في المثل وقد دخلت على حرف النّفي (لا) كما في المثل:

قَدْ لَا يُقَادُ بِي الجَمَلُ[5]. فنلحظ المؤكّد (قد) مع (لا) النّافية (لا يقاد)، وفي هذه الحالة يكون الفعل الذي تدخل عليه (قد) محذوفا، ويقدر تقديرا، لأنّ الفعل المضارع الذي تدخل عليه قد يشترط فيه أن يكون مجرّدا من النّاصب والجازم والسّين وسوف[6]، وعليه نقدّره كالتّالي: "قد صرت لَا يُقَاد بي الْجمل"[7]. أو: "قد

1 – المرجع السابق، ص: 165.
2 – أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 123.
3 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 173.
4 – أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 128.
5 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 75.
6 – الغلاييني: جامع الدروس العربية، 3/ 265.
7 – أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 118.

كنت لا يقاد بي الجمل"[1] ونحوه. أي إن رأيتني اليوم ضعيفا، فقد كنت قويّا، وقائله سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان قد أسنّ حتّى لا يطيق ضبط بعير إذا أدركه حتّى يقاد به[2].

وإن كان علماء اللّغة لا يجيزون دخول قد على اللّام النّافية، إلّا أنّ المثل ورد بها وهو من الفصيح؛ ولا بدّ حينها من إجازة دخولها، أو حمل الأمر على ما ذكرنا، وعليه حمل بعض أصحاب الأمثال هذا المثل على هذا المعنى، كما نرى من صنيع الميدانيّ في مجمع الأمثال حين ذكره بهذه الصّيغة: "لَقَدْ كُنْتُ وَمَا يُقَادُ بِي البَعِير"[3]، وفي هذا الإجراء الأسلوبيّ بحذف فعل (قد) يكون لتأكيد النّفي، فالنّفي في ذاته تأكيد، وزاد تأكيده بـ (قد).

ومن المؤكّدات نون التّوكيد الثّقيلة، في المثل: بِسِلاَحٍ مَّا يُقْتَلَنَّ القَتِيلُ[4]. أصلها: يقتلنّ القتيل بسلاح ما. فقد ورد الفعل المضارع مؤكّدا بنون التّوكيد الثّقيلة.

كما نرى في بعضها ورود أكثر من مؤكّد، من ذلك: حَنَّتْ وَلَا تَهَنَّتْ وَأَنِّي لَكَ مَقْرُوع[5]. فنلحظ (لَا) النّافية مع (أَنِّ).

وقولهم: لاَ رَأْيَ لِمَكْذُوبِ[6]. لام النّافية مع اللّام .

كما نلحظ أنّ بعضها ورد بأكثر من مؤكّدين، وهو ما يسمّيه علماء البلاغة بالإنكاريّ، وذلك أنّ السّامع ينكره، فيحتاج المتكلّم لتعزيز كلامه بأكثر من مؤكّد ليسمعه المتلقي ويصدقه، ومن ذلك ما نجده في الأمثال السّائرة التّالية:

---

1 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 75.

2 – ينظر – الهاشمي: الأمثال،1/ 178.

3 – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 180.

4 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 151.

5 – المرجع نفسه، ص: 79.

6 – المرجع نفسه، ص: 79.

أَمَا وَاللهِ لَتَجِدَنَّهُ أَلْوَى بَعِيْدَ المُسْتَمَرِّ[1]. فنلحظ القسم (والله) واللّام ونون التّوكيد الثّقيلة في المضارع (لَتَجِدَنَّهُ).

وَاللهِ لَا أَرْعَاهَا سِنَّ الحِسْلِ[2]. القسم (والله) ولام التأكيد النافية (لا أرعاها)

ولم يتوقّف الأمر عند هذا النّوع من التّوكيد في الجمل الفعليّة؛ بل هناك صيغ أخرى، والتي منها التّوكيد بأسلوب القصر، كقولهم : إِنَّمَا يَعِيشُ الرَجُلُ بأَصْغَرَيْهِ[3].

(إِنَّمَا) فيه (إِنَّ) وهي للتّوكيد (الإثبات) و(ما) للنّفي، التي يعتبرها النّحاة كافّة ومكفوفة، وهذا الأسلوب يفيد الإثبات للشّيء، والنّفي عن غيره دفعة واحدة.

ومنها التّوكيد بالسّجع، وهو في الأمثال كثير، وفي ذات الوقت هو وسيلة غير تقليديّة في التّوكيد، كقولهم:

أُعْطَي العَبْد كُرَاعًا فَطَلَبَ ذِرَاعاً[4].

عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً[5].

مَنْ عَزَّ بَزَّ[6].

وهناك جمل فعليّه وقع فيها التّأكيد بالتّقديم والتّأخير، فتقدّمت شبه الجملة عن الفعل والفاعل، من ذلك: الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ[7]. فيها حذف لحرف الجرّ وتقديم لشبه الجملة، أصلها كما في مجمع الأمثال: فِي الصَّيفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ[8].

---

1 – المرجع السابق، ص: 61.

2 – المرجع نفسه، ص: 75.

3 – المرجع نفسه، ص: 55.

4 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 149.

5 – المرجع نفسه، ص: 140.

6 – المرجع نفسه، ص: 124.

7 – المرجع نفسه، ص:51.

8 – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 68.

وتقديرها: ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ فِي الصَّيفِ.

رُوَيْداً يَعْلُونَ الجَدَدَ[1]. وأصلها: يَعْلُونَ الجَدَدَ رُوَيْداً.

لأَمْرٍ مَّا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ[2]. أصلها: جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ لأَمْرٍ مَّا.

عَلَى أَهْلِهاَ تَجْنِي بَرَاقشُ[3]. وأصلها: تَجْنِي بَرَاقشُ عَلَى أَهْلِهاَ.

وفي النَّوَى يَكْذِبُكَ الصَّادِقُ[4]. أصلها: يَكْذِبُكَ الصَّادِقُ في النَّوَى.

ب – الجمل الاسميّة

أمّا إذا جئنا للجمل الاسميّة فنرى مجموعة منها ورد من غير مؤكّد، سوى ما تحمله الجملة الاسميّة من مؤكّد في ذاتها، من تلك الجمل:

هَذَا ومَذْقَةٌ خَيرٌ[5].

الْعَاشِيَةُ تُهَيِّجُ الآبِيَّةَ[6].

الْفِرَارُ بِقِرَابٍ أَكْيَسُ[7].

عَوْفٌ يَرْنَأُ فِي الْبَيْتِ[8].

ساَعِدَايَ أحْرَزُ[9].

يَدَاكَ أو كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ[10].

---

1 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 86.

2 – المرجع نفسه، ص: 146.

3 – المرجع نفسه، ص: 151.

4 – المرجع نفسه، ص: 163.

5 – المرجع نفسه، ص: 51.

6 – المرجع نفسه، ص: 63.

7 – المرجع نفسه، ص: 66 .

8 – المرجع نفسه، ص: 70.

9 – المرجع نفسه، ص: 75.

10 – المرجع نفسه، ص: 117.

مَالِي بَيْنَ بَنِيَّ[1].

وَيْلٌ لِلشَّعْرِ مِنْ رِاوَيَةَ الشِّعْرِ[2.3].

هَذا جَنايَ وخِيَارُهُ فِيهِ[4].

هذَا حِرٌ مَعْرُوفٌ وَكُنْتُ الْبَارِحَة فِي حِرٍّ مُنْكَرٍ[5].

هذَا حَظُّ جَدٍّ مَنَ الْمَبْنَاةِ[6].

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما[7].

فنراها جميعا جاءت جملا اسميّة إخباريّة خالية من المؤكّدات، ومكتفية باسميّة الجملة، وفي بعضها زادت على تأكيد اسميّة الجملة بتوكيدات معنويّة؛ كالتّقديم – مثلا – الذي يحمل مؤكّدا معنويّا، بغرض التّنبيه والاهتمام، كما في الأمثلة التّالية:

فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ[8]. وأصلها: بَنُو سَعْدٍ فِي كُلِّ وَادٍ. الأبْلَقُ الْعَقُوقُ[9]. على تقدير مبتدأ محذوف نقدّره بالضّمير: هو (بمعنى الوفاء) الأبلق العقوق.

شَوَلاَنُ البَرُوقِ[10]. على تقدير مبتدأ محذوف: هو شولان البروق.

ماءٌ وَلَا كَالصَدِيدِ[11]. وتقديره: هذا أو هو ماء جيّد وليس في الجودة مثل الصّديد، حذف المبتدأ في سياق العطف.

---

1 – المرجع السابق، ص: 141.

2 – المرجع نفسه، ص: 141.

3 – ويل مبتدأ مرفوع وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء.

4 – المرجع السابق، ص: 149.

5 – المرجع نفسه، ص: 152.

6 – المرجع نفسه، ص: 157.

7 – المرجع نفسه، ص: 167.

8 – المرجع نفسه، ص: 50.

9 – المرجع نفسه، ص: 50.

10 – المرجع نفسه، ص: 66 .

11 – المرجع نفسه، ص: 73.

مَرْعًى وَلاَ كَالسَّعْدَانِ[1]. ونقدّره باسم الاشارة: هذا، أو بالضّمير: هو مرعى جيد وليس في الجودة مثل السّعدان.

لِي الغَادِرَةُ والمُتَغَادِرَةُ والأفِيلُ النَّادِرَةُ[2]. وأصلها: الغَادِرَةُ والمُتَغَادِرَةُ والأفِيلُ النَّادِرَةُ لِي.

هَيْنٌ لَيْنٌ وَأودَتِ العَيْنُ[3]. وتقديره: هي أو هو هيّن ليّن وأودت العين.

كَالطَاحِنَة[4]. وتقديره: هو أو هي مثل الطّاحنة.

صَحِيفَةُ المُتَلَمِّسِ[5]. وتقديره: هذه صحيفة المتلمّس.

أَعَزُّ مِنْ كُلَيْبِ وَائِلٍ[6]. فقد حذف المبتدأ قبل صيغة "أفعل" وتقديره: هُوَ أَعَزُّ مِنْ كُلَيْبِ وَائِلٍ. وقد وردت هذه الصّيغة (أفعل) في أمثلة كثيرة، كلّها المبتدأ فيها محذوفا ويقدّر تقديرا. من ذلك:

أَسْرَعُ مِنْ نِكاحِ أُمِّ خَارِجَةَ[7].

أشأمُ مِنْ دَاحِسٍ[8].

أشأمُ مِنْ ناقةِ البسوسِ[9].

أَشْأمُ مِنْ خَوْتَعَةَ[10].

---

1 - المرجع السابق، ص: 127.

2 - المرجع نفسه، ص: 155.

3 - المرجع نفسه، ص: 172.

4 - المرجع نفسه، ص: 173.

5 - المرجع نفسه، ص: 174.

6 - المرجع نفسه، ص: 129.

7 - المرجع نفسه، ص: 58.

8 - المرجع نفسه، ص: 109.

9 - المرجع نفسه، ص: 130.

10 - المرجع نفسه، ص: 134.

أَثْقَلُ مِنْ حِمْلِ الدُّهَيْمِ[1].

أمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الجَوِّ[2].

أَحْمَقُ مِنْ دُغَة[3].

وبعض الأمثال أكّدت بـ(ربّ) التي تعتبر زائدة ولا محلّ لها من الإعراب، مثل قولهم:

رُبَّ عجلةٍ تهبُ ريثاً[4].

ورُبَّ فَرُوقَة يُدْعَى لَيْثاً[5].

ورُبَّ غَيْثٍ لَمْ يَكُنْ غَيْثاً[6].

كما نرى التّوكيد بلفظ الشّمول (كلّ) في قولهم:

كلُّ ذاتِ صِدَارٍ خَالَةٌ لِي[7]. فنلحظ التّوكيد بلفظ الشّمول في (كلّ)، فقد أفادت الشّمول، ولو حذفت من المثل لم يفهم منه الشّمول أصلا، وفائدة هذا اللّون من التّوكيد رفع ما يتوهّم من عدم الشّمول، وهذا من التّوكيد المعنويّ.

وهناك من الأمثال ما ورد طلبيّا بمؤكّد أو مؤكّدين، من ذلك:

وَأَهْلُ عَمْرٍو قَدْ أَضَلُّوه[8]. نرى التّأكيد بـ(قد) وإن لم يكن في بداية المثل.

ونجد كذلك مثلا واحدا من بين الأمثال السّائرة، جاء مؤكّدا بأداة واحدة هي

---

1 - المرجع السابق، ص: 135.

2 - المرجع نفسه، ص: 146.

3 - المرجع نفسه، ص: 172.

4 - المرجع نفسه، ص: 138 .

5 - المرجع نفسه ص: 138 .

6 - المرجع نفسه ص: 138 .

7 - المرجع نفسه، ص: 127.

8 - المرجع نفسه، ص: 78.

أداة التّنبيه (أَلَا) في قولهم: أَلَا مَنْ كانَ غازِياً فَلْيَغْزُ[1]. فنلحظ الأداة (ألا) في بداية المثل، وهي ترد للتّنبيه في فاتحة الكلام، وتدخل على الجملتين الاسميّة والفعليّة.

ونجد بعض الأمثلة جاءت مؤكّدة بالأداة (إنَّ) في قولهم:

إنَّ المُعَافَى غَيْرُ مَخْدُوعٍ[2].

إِنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقْمِر[3].

وفي هذا المثل يعلم المتلقّي أن اللّيل طويل، ولكنّه نزل منزلة من يطلب الخبر، وهو ما يسمّى بلازم الفائدة. وبالتّالي نرى في هذه الأخبار التي جاءت جملا اسميّة مؤكّدة بـ(إنّ) وهي من أشهر المؤكّدات وأكثرها ورودا.

ومن الأمثال ما أُكِّدَت بـ(إنّ) مع زيادة مؤكّد آخر، مثل قولهم:

إنَّ الحَدِيثَ لَذُو شُجُون[4]. اسميّة مؤكّدة بـ(إنّ) و(اللّام) في (لذو) واسميّة الجملة.

إنَّ التَجْرِيدَ لِغَيْرِ نِكَاحٍ مثلةٌ[5]. مؤكّدة بـ(إنّ) و(اللّام) في (لغير).

إِنِّي آكُلُ لَحْمِي وَلَا أَدَعهُ لِآكِلٍ[6]. مؤكّدة بـ(إنّ) و(لا) النّافية. واتّصال المؤكّد (إنّ) بضمير المتكلّم يقوّي الكلام عند المتلقّي، لأنّ الملقّي واثق ممّا يلقيه وعازم على فعله، وقد يكون – أيضا – داعي التّوكيد هو رغبة المتكلّم في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب، وتقريره في نفسه، وفي هذا تأكيد معنويّ للكلام.

---

1 – المرجع السابق، ص: 153.

2 – المرجع نفسه، ص: 49.

3 – المرجع نفسه، ص: 62.

4 – المرجع نفسه، ص: 47.

5 – المرجع نفسه، ص: 128.

6 – المرجع نفسه، ص: 65.

وقولهم: إِنِّي سَأَكْفِيكَ مَا كَانِ قَوْلًا[1]. نراه أوّلا مؤكّدة بـ(إنّ) ثمّ بالسّين في قوله: (سأكفيك) مع (ما) النّافية، وهذا النّوع من الإخبار إنكاريّ، يُساق لمن هو منكر، أو متردّد في صدق الخبر.

وقولهم: وإِنَّهَا لَا يُشَقُّ غُبَارُهَا. مؤكّدة بـ(إنّ) و(لا) النّافية. مع اتّصال (إنّ) بضمير الغائب الذي يوحي ويؤكّد دلالة عامّة لا تختص بحضور متلقّ بعينه.

وقولهم: إِنَّكَ لَا تَرْكِضُ مَرْكِضاً[2]. مؤكدة بـ(إنّ) و(لا) النافية. مع التأكيد بالمفعول المطلق (مركضاً). واتّصال إن بضمير المخاطب يوحي بتحديد دلالة محدّدة بعين المخاطب، وإلى كلّ من يمكن أن يتلقّى المثل، وبهذا يملك المثل حضوره الدّائم وعدم قصوره على فئة بعينها أو حدث بذاته.

وقولهم: كَأَنَّ بِرَحْلٍ باتَتْ[3]. مؤكّدة بـ(الكاف) و(أنّ) مع زيادة الباء في (برجل).

وقولهم: لكنَّ بالأثَلاَث لحماً لا يُظَلَّل[4]. مؤكّدة بـ(لكنَّ) و(الباء) في قوله (بالأثلاث)، مع (لا) النّافية (لا يظلّل).

وهذا النّوع من التّوكيد أبرز غاياته هو تثبيت المعنى في النّفس، فيؤدّي لتقوية العبارة، ويجعلها ملائمة لحال النّفس حسب قبولها ورفضها، فتكون بعد ذلك لها قابلية الاقتناع والتّأثر، وفي هذا المعنى يقول يحي بن حمزة العلويّ: «اعلم أنّ التّأكيد تمكين الشّيء في النّفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشّكوك وإماطة الشّبهات عمّا أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ، كثير الفوائد»[5].

---

1 - المرجع السابق، ص: 69.

2 - المرجع نفسه، ص: 85.

3 - المرجع نفسه، ص: 145.

4 - المرجع نفسه، ص: 110.

5 - العلوي: الطراز، 2/ 94.

فهذه العملية التي يتوخّى منها حالات القبول والإذعان عند المتلقّي، بدل حالات الشّك والإنكار، تتطلّب من المبدع الكثير من الحيطة والدّقة في إجراء التّوكيد، وابتغائه أسلوبا، وهذا ما نشاهده في المثل نظرا لما فيه من قوّة في الإبلاغ، ما جعل التّوكيد فيه يصوّر هذا الأصل النّفسيّ الدّقيق في بنائه الأسلوبيّ.

فهناك ضروب من التّوكيد لا ينظر فيها إلى حال المخاطب فقط حسب ما نصّت عليه البلاغة فننزله تلك المنازل، إمّا خالي الذّهن أو منكر أو جاهل ... ، وإنّما هناك من الحالات ما ينظر فيها المتكلّم إلى حال نفسه في ذاته، ومدى انفعاله بهذه الحقائق التي يؤكّدها، وحرصه على إذاعتها، وتقريرها في النّفوس كما أحسّها مقرّرة أكيدة في نفسه، وهذا اللّون له جماليّته كما نراها في هذه الأمثال.

ونختم الجمل الاسميّة وما اعتراها من مؤكّدات في هذا النّوع من الأمثال، بالتّكرار اللّفظيّ الذي نلاحظه في المثل: بَخٍ بَخٍ سَاقٌ بِخَلْخَالٍ[1].

هذا هو المثل الوحيد في أمثال الضّبّيّ، ونلحظ التّوكيد اللّفظيّ في تكرار لفظ (بَخٍ بَخٍ)، وبخ: اسم فعل مضارع، يقال عند المدح والرّضا بالشّيء، ويكرّر للمبالغة، فإن وصلت كسرت ونوّنت.

والغرض من هذا «التّوكيد اللّفظي تقرير المؤكّد لدى من يوجّه له الكلام، وتمكينه في نفسه، وإزالة ما لديه من شبه حوله»[2].

فمن خلال كلّ هذا ندرك أنّ التّوكيد لا يقوم على مجرّد ورود مؤكّد، أو تكرار لفظة معيّنة في المثل، وإنّما على ما يتركه المُؤَكِّد، من أثر انفعاليّ في نفس المتلقّي، بإيقاظ وعيه واستنفاره من جراء التّنبيهات والتّأكيدات التي تنبعث من خلاله، فكلّ توكيد يكرّس مفاهيم معيّنة، ويحمل في طيّاته إيحاءات نفسيّة وانفعاليّة متباينة،

1 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 128.

2 – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 2/ 109.

تفرضها طبيعة السّياق والبنية التّركيبيّة، وطريقة الأسلوب فيه، والغرض الدّاعي له، ولو لم يكن كذلك؛ لكان التّوكيد زيادة لا فائدة منه، وليس له أيّة قيمة أسلوبيّة، لأنّه حينها يعتبر حشوا زائدا لا يؤدّي معنى أو وظيفة في المثل.

ج – النّفي

النّفي في هذا النّوع من الأمثال له اعتباره، وذلك من خلال ما ورد فيه من نماذج تبيّن أنّ العربيّ كان يستخدم هذا النّوع في حياته وفي مخاطبته، وقد جاء ذلك جليّا واضحا، ليؤدّي دلالات كثيرة ومتنوّعة، يعبّر بها المتكلّم عن مكنونات نفسه، تقول أماني سليمان داود: «تختار الأمثال هذا النّمط التّركيبيّ بوصفه نمطا قادرا على التّعبير عن محمولات النّفس النّازعة إلى الرّفض والمنع والإزاحة والنّفي. كما أنّ الرّسالة التي يحملها المثل قد تحمل الإيجاب، وقد تحتاج إلى النّفي. وفي هذا الحال يكون الخيار استخدام هذا الأسلوب التّركيبيّ التّعبيريّ إيصال الرّسالة التي تحمل دلالة المخالفة والقصد، وكثيرا ما تتعمّق هذه الدّلالة فتنحو نحو معان غير تقريريّة أو مباشرة ليصبح الرّفض والنّفي والمخالفة تعبيرا عن موقف السّخرية والاستهزاء، وغير ذلك من أمور تعرض في حياة الجماعة التي تلجأ إلى الأمثال وتستخدمها في صورة معايير تنظّم الوعي الجماعيّ»[1].

في بعضها وردت لا النّافية مع الاسم، مثل: لا نَاقَةٌ لي فِي هذَا، ولاَ جَمَلُ[2].

فالنّفي ورد مرّتين في المثل بحكم أنّه مشكّل من جزأين، يكمّل بعضهما بعضا في أداء الدّلالة. ولهذا تكرّرت لا النّافية، وأصله: لا نَاقَةٌ لي فِي هذَا. هذه جملة مستقلّة، والثّانية معطوفة عليها: ولاَ جَمَلٌ لي فِي هذَا. وإنّما حذف (لي فِي هذَا) لأنّه

---

1 – أماني سليمان داود: الأمثال العربية القديمة، دراسة أسلوبية سردية حضارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى: 2009، ص:161 وما بعدها.

2 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 131.

أغنى عنه ما قبله بالعطف.

والقاعدة تقول: «فإن كان ما بعدها جملة اسميّة صدرها معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها، أو كان ما بعدها فعلا ماضيا لفظا أو تقديرا وجب تكرارها، إلّا في الدّعاء، وإرادة المستقبل في الفعل الماضي»[1].

وكقولهم: مكرهٌ أَخُوكَ لَا بطلٌ[2].

في هذا النّفي نرى نفي البطولة عن أخيك دون تعرّض لمعنى الاختصاص. بمعنى أنّ نفي الأخصّ لا يدلّ على نفي الأعمّ، فإنّ نفى عنه البطولة هنا لا يعني نفيها عنه مطلقا.

وقولهم: بِيَدِي لَا بِيَدَيْكَ عَمْرو[3]. وهنا ورد ذِكْرُ اليد للمخَاطِب وتقديمها على لا النّافية ليد المخَاطَب يدلّ على التّخصيص وزيادة الاهتمام، لأنّ النّفي إذا دخل على كلام، ثمّ كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه، يتوجّه إلى ذلك التّقييد، ويقع له خصوصا.

وقولهم: لَا فَتى إِلَّا عَمْرو[4]. وهنا جاء النّفي مع القصر، وهو من قصر صفة على موصوف دون غيره، حيث قصرت الفتوّة على عمرو ونفتها على غيره، وبهذا تكون لا النّافية تفيد التّخصيص على سبيل المبالغة والادّعاء المجازيّ لا الحقيقة.

وفي بعضها وردت لا النّافية مع الفعل، مثل قولهم: حنّت ولا تهنّت![5]. فقد ورد على الدّعاء، أي لا هنّأها الله ذلك.

---

1 – حبنكة الميداني: البلاغة العربية، 1/ 204.

2 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 112.

3 – المرجع نفسه، ص: 147.

4 – المرجع نفسه، ص: 159.

5 – المرجع نفسه، ص: 79.

وقولهم: لَا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ[1].

وقولهم: لاَ يَحْزُنْكِ دَمٌ هَرَاقَهُ أَهْلُهُ[2].

وقولهم: لاَ يُطَاعُ لِقَصيرٍ رَأْيٌ[3].

وفي هذه النّماذج وقع النّفي فيها على الذّات والصّفة معا، لا مجرّد نفي الصّفة، ففي المثل الأوّل، نفى الطّلب مطلقا، أي: لا أطلب الأثر مطلقا، وبالتّالي لا يحصل منه الطّلب للأثر، وفي الثّاني نفى وقوع الحزن مطلقا، أي: لا تحزن على دم كان أهله سبب في إراقته، وبالتّالي لا يقع منه الحزن مطلقا على أيّ دم أريق من هؤلاء، وفي الثّالث نفى أن يكون لقصير رأي يطاع، وبذلك ينتفي القصير ورأيه.

وفي بعضها ورد النّفي بـ(لم) وهي حرف نفي وجزم يجزم الفعل المضارع، ويقلب زمنه فيجعله ماضيا، مثل: ورُبَّ غَيْثٍ لَمْ يَكُنْ غَيْثاً[4].

وفي بعضها ورد النّفي بـ(ما) التي تدخل على الجملتين الاسميّة والفعليّة، مثل: وَمَا أَرَاهَا وَأَلَت مِنْهُ[5]. مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ[6].

فتلكم هي قضية النّفي وما ورد فيها من الأمثال، وما أحاط بها من تنوّع في المثل السّائر من خلال كتاب أمثال العرب للضّبّيّ، وننتقل بعدها للشّرط في العنصر الموالي.

د – الشّرط

وأمّا فيما يتعلّق بالشّرط، فنلحظ أنّ هذا النّوع من الإجراء تنزع إليه الأمثال

---

1 – المرجع السابق، ص: 142.

2 – المرجع نفسه، ص: 145.

3 – المرجع نفسه، ص: 144.

4 – المرجع نفسه، ص: 138.

5 – المرجع نفسه، ص: 99.

6 – المرجع نفسه، ص: 118.

العربيّة – كذلك – وعندما نقوم بعمليّة استقراء للأمثال السّائرة عند الضّبّيّ نجد فيها العديد من الأمثال صيغت على صيغة الشّرط، وبأدوات شرطيّة مختلفة، وهذا ما يستدعي الوقوف عندها، وأوّل ما نقف عنده، قولهم:

أَيْنَمَا أُوَجِّهْ أَلْقَ سَعْداً[1]. فكما نلحظ المثل جاء جملة خبريّة شرطيّة – وهذا هو المثل الوحيد الذي جاء بهذه الصّيغة – والشّرط يتمثّل في (أَيْنَمَا)، فـ(أَيْنَ) اسم شرط جازم، و(ما) حرف زائد إعراباً مؤكّد للمعنى، وهي كافّة ومكفوفة، وبالتّالي يصير «أَيْنَمَا» اسم شرط غير جازم ظرف مكان متعلّق بما بعده. و(ألق) جواب الشّرط، والغرض منه بيان عدم الجدوى.

وهناك ما جاء بأداة الشّرط (لو)، من ذلك قولهم:

لَوْ خَيَّرَكِ القَوْمُ لَاخْتَرْتِ[2].

لَوْ نُهِيَ عَن الأُولَى لَمْ يَعُد لِلآخِرَةِ[3].

لَوْ كُنْتِ مِنَّا حذَوْناكِ[4].

ففي المثل الأوّل نجد (لو) للتّعليق بالماضي ومعناه على الاستقبال، ولكن عندما جاء الفعلان (فعل الشّرط وجوابه) بصيغة الماضي، أصبح الأمر المستقبل بمثابة الأمر الماضي، ويراد منه نفي الشّيء في الماضي، وفي المثل نفي التّخيير؛ بمعنى أنّ القوم لم يخيّروك حتّى تلوميني لماذا جئت أنا دون إخوتي؟!.

وفي المثل الثّاني نجد (لو) للتّعليق بالماضي كذلك، وقد ورد فعلها مبنيّ للمجهول (نُهِيَ)، وجاء الفعل الثّاني بصيغة المضارع (يَعُد)، والغرض من هذا

1 – المرجع السابق، ص: 50.

2 – المرجع نفسه، ص: 39.

3 – المرجع نفسه، ص: 118.

4 – المرجع نفسه، ص: 129.

التّغاير بين الفعلين في الشّرط هو تصوير ما كان سيحدث للشّيء الذي وقع وحدث لو تحقّق فعل جملة الشّرط، وهو وقوع النّهي، وبما أنّ النّهي لم يقع فقد حصل ما حصل، وهو عوده للآخرة، فناسب مجيء الفعل المضارع في جواب الشّرط للإشعار بأنّه أمر من أمور المستقبل المتحقّقة الوقوع، وهو بنفس قوّة ما وقع وتحقّق فعلا. أي كما أنّه لم ينه عن الأولى فعاد للآخرة، كذلك لو نهي في الأولى لما عاد للآخرة.

وعندما نقف مع المثل الثّالث؛ نلحظ أداة الشّرط (لو)، وجملة الشّرط (كنت)، وجواب الشّرط (حذوناك)، وقد جاء للتّعليق بالماضي – أيضا – ومعناه على الاستقبال، وكأنّ الأمر الذي سيحصل في الاستقبال هو ذاته وقع في الماضي، من خلال حكاية المثل نجد هذا ما تمناه مرّة بن ذُهْل لِرِجْلِهِ عندما رآها قطعت، فقال: «لَوْ كنْتِ مِنّا حذَوْنَاكِ»، أي: «لو كنت صحيحة جعلنا لك حِذَاء»[1].

«يأتي المثل في سياق قصّة قطعت فيها رجل أحدهم لإصابتها بالأكلة، ويقصد بالمثل في معناه المباشر، قول أحدهم مخاطبا قدم مريضة قطعت: لو كنت صحيحة جعلنا لك حذاء، ويضرب لمن أُهمل إكرامه لخصلة سوء تكون فيه. إلّا أنّ المعنى المجازيّ للمثل هو التّسويغ وإعطاء المبرّرات للامتناع عن فعل ما عندما تنقض شروط الإقدام عليه، فضلا عمّا يمكن أن يشي به المثل من الحسرة والألم على صور متعدّدة من الفقدان، أو بما يمكن للمرء أن يعانيه من ظواهر ومواقف تنقصها بعض لوازمها، ولكنّه لا يتدخّل فيها ولا يكمل نقصانها، لعدم ارتباطها به أو غياب العلّة الكافية لتدخّله»[2].

ونجد في مثل آخر يأتي جواب الشّرط للأداة (لو) محذوفا، وهذا في قولهم:

---

1 – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 175.

2 – أماني سليمان: الأمثال العربية القديمة،ص:149.

أَشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لَوْ أَنَّ أُسَيْمِرًا[1]. فهي جملة شرطيّة إخباريّة مؤكّد بـ(إنَّ) وحُذِفَ منها جواب الشّرط، لأنّه دلّ عليه ما قبله، وتقديره: لو أنّ أسيمرا موجود لأشبه شرج شرجا.

ففي حذف الجواب يظهر مدى التّأثير الحاصل على المتلقّي وإثارته، بحيث لو ذكر الجواب لم يكن بنفس العظمة عنده، ولا بنفس منزلة الحذف، فالحذف يذهب السّامع كلّ مذهب، ويتركه لا يعوّل على نفسه في تحديد المعنى المراد، مثل ما يكون في إيراد اللّفظ بذاته، وفي هذا تنبيه لاختبار المتلقّي، (لأنّ نفس السّامع تتّسع في الظّنّ والحساب، وكلّ معلوم فهو هيّن لكونه محصورا)[2]، لكن غير المحصور يحدث المفاجأة عند المتلقّي ويكثّف الدّلالة عنده، فيلجأ للبحث وراء الدّافع الموجب لهذا النّمط من التّركيب، بإعمال الفكر وتنشيط العقل والخيال، وهذا (أحد أنواع سحر الكلام حيث يتوصّل بتقليل اللّفظ إلى تكثير المعنى)[3].

«ومن الإيحاءات التي ترسلها جملة الشّرط التي يتألّف منها المثل حين يكتفي بالجزء الأوّل من تركيب الشّرط، ويسكت عن الجزء الثّاني (أي جملة جواب الشّرط)، ممّا يصنع فجوة أمام المتلقّي تكسر أفق انتظاره إذ المألوف إتمام تركيب الشّرط، بورود فعل الشّرط وجوابه، والعدول هنا في الأسلوب يتمثّل في السّكوت عن الجواب وترك أمره للمتلقّي.

وبالرّغم من ذلك فإنّنا لا نجد المثل بحاجة إلى زيادة أو تكملة، فهو بشكله هذا يحقّق الاكتمال والاكتفاء، خصوصا مع ألفته، وفهم أبعاده، وإمكانية تراسله مع المضامين والخطابات المتنوّعة، وحيويّة استخدامه في سياقات متعدّدة، فلو حاولنا

1 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 154.

2 – ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 251/1.

3 – السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 228 .

وضع خيارات لجملة جواب الشّرط ... فإنّ بنية المثل ستختل، وستفقد رونقها المتأتّي من إيجازها واقتضابها، فضلا عن خلخلة الدّلالة ومباشرتها وسطحيتها وعدم فتحها أفقا للدّلالات والإيحاءات»[1].

ونجد في مثل آخر أنّ الشّرط جاء بأداة (إِنْ)، وهذا في قولهم: إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لاَ يَبْغِ عَلَيْكَ القَمَرُ[2]. وتستعمل إن الشّرطيّة في المعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في حصولها، والموهومة والنّادرة، فإذا استقرينا المعنى الذي جاء به المثل، نجد أنّه معنى مشكوك في وقوعه، أي أنّه محتمل الوقوع، فيكون وقوعه على جهة الشّكّ والاحتمال، لا القطع اليقين، ومع ذلك وإن كان المعنى محتمل الوقوع فهو غير دائم.

وحكاية المثل تبيّن أنّ توقّع البغي من قوم الرّجل أمر محتمل مشكوك فيه، يقول الضّبّيّ: «كان النّاس يتبايعون على طلوع الشّمس وغروب القمر من صبح ثلاث عشرة ليلة تخلو من الشّهر: أتطلع بعد غروب القمر أم قبله، فتتابع رجلان على ذلك، فقال أحدهما: تطلع قبل غروب القمر، وقال آخر: يغيب القمر قل طلوع الشّمس، فكأنّ قوم اللّذين تبايعا ضلعوا مع الذي قال إنّ القمر يغرب قبل طلوع الشّمس، فقال الآخر: يا قوم إنّكم تبغون عليّ، فقال له قائل: إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر»[3].

أي: إن ظلمك قومُك – وهذا أمر مشكوك فيه ومتوقّع الحصول- فلا يظلمك القمر، فانظر إليه يتبيّن لك الأمر والحقّ، لذلك فالمثل: «يضرب مثلا للرّجل يدّعي تلبيسا في الأمر المشهور»[4].

ونجد في بعض الأمثال مجيء الشّرط بأداة (مَنْ)، وهذا في قولهم: حَرَامَهُ يَرْكَبُ

1 – أماني سليمان: الأمثال العربية القديمة، ص:151.

2 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 124.

3 – المرجع نفسه، ص: 124.

4 – أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 1/ 34.

مَنْ لاَ حَلاَلَ لَهُ[1]. المثل فيه تقديم وتأخير، وأصله: مَنْ لاَ حَلاَلَ لَهُ يَرْكَبُ حَرَامَهُ. وإنّما قدّم معمول جواب الشّرط على أداة الشّرط؛ لأنّه جاء جملة مضارعة مرفوع (يَرْكَبُ)، وتسمية المذكور جوابا تساهل لوحظ فيه الأصل، وهي حالة من حالات تقديم معمول جوابها وتأخير الأداة[2].

فالمثل إذا جاء بجملة شرطيّة إخباريّة، وقد دخل الشّرط (مَنْ) على الجملة (لاَ حَلاَلَ لَهُ) لربط الحكم فيها ربطا شرطيّا بحكم آخر في الجملة الأخرى (يَرْكَبُ حَرَامَهُ)، فتكون الجملتان بمثابة جملة واحدة، وبهذا تسمّى جملة شرطيّة.

وعليه نلاحظ في الجملة الشّرطيّة أنّ الشّرط فيها قيّد للحكم في الجملة التي هي جواب الشّرط، ففي قوله: «مَنْ لاَ حَلاَلَ لَهُ يَرْكَبُ حَرَامَهُ» نلاحظ أنَّ تحقّق عدم وجود المركوب الحلال في الجملة الأولى قد جعل في الكلام شرطا لتحقّق ركوب الحرام في الجملة الثّانية، والأداة الرّابطة بين الجملتين هنا كلمة (مَنْ) الشّرطيّة.

ونفس الشّيء مع الأمثال التّالية:

مَنْ عَزَّ بَزَّ[3].

أَلَا مَنْ كانَ غازِياً فَلْيَغْزُ[4].

مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ[5].

ونجد في بعض الأمثال مجيء الشرط بأداة (إذا)، وهذا في قولهم:

إِذَا رُمْتَ الْبَاطِلَ أَنْجَحَ بِكَ[6].

---

1 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 71.

2 – ينظر – عباس حسن: النحو الوافي، 1/ 410.

3 – المرجع نفسه، ص: 124.

4 – المرجع نفسه، ص: 153.

5 – المرجع نفسه، ص: 166.

6 – المرجع نفسه، ص: 118.

إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ[1].

كناية عن صفة، وهي المسايرة، «والمعنى: إذا أشتدّ أخوك وتصعّب، فلن أنت»[2]. أي إذا تقوى فكن هيّنا معه وأخضع له تسلم من شرّه.

فـ(إذا) شرطيّة تكون للأشياء المقطوعة، أو للكثيرة الوقوع، التي لا يشكّ في وقوعها، فمثلاً هذا المثل يراد منه مسايرة الآخر بلين ويسر وإن كان عسير المعاشرة، وهو معنى يكاد يقترب من الفضائل والأخلاق الحميدة، التي يتّصف بها الإنسان، ولاشكّ إنّ مثل هذه المعاني ليس من الصّحيح أن يخبر عنها بأسلوب مبنيّ على الشّكّ والاحتمال، بل لا بدّ من ترغيبها للآخرين، ليتقبّلوا العمل به في عالم الواقع والضّمير، فجاء الإخبار عنها بتركيب مثلي اعتمد على معنى القطع والتّيقن بحصولها، تأكيدا على ضرورة العمل به كونه من المعاني الايجابيّة التي تشيع المودّة والإخاء بين الآخرين.

كما نرى أنّ استعمال الشّرط في التّركيب المثلي له من الأثر النّفسيّ الشّيء الكثير، إذ إنّه يلفت انتباه المُخَاطَب من خلال جعله متلهفاً ومتشوّقاً، لمعرفة الجزاء، المتمثّل في جواب الشّرط، المترتّب على حدوث الشّرط.

وبهذا نكمل الأسلوب الإخباريّ للمثل العربيّ السّائر لنتطرّق للأسلوب الإنشائيّ، ونختم به الكتاب.

2 – الأسلوب الإنشائيّ

الأسلوب الإنشائيّ أقلّ ورودا من الأسلوب الإخباريّ في المثل السّائر، ومع ذلك فقد ورد فيه جميع أنماط الإنشاء؛ من الأمر والنّهي والاستفهام والنّداء والتّمنّي، وبعضها أكثر ورودا من بعض، وأقلّها ورودا النّهي والتّمنّي، ثمّ النّداء،

1 – المرجع السابق، ص: 137.

2 – اليوسي: زهر الأكم، 1/ 73.

وأكثرها الاستفهام وأكثر منها جميعا الأمر، كما سنلاحظه من خلال عرضها.

ولكن قبل ذلك نشير إلى أنّه ورد في الأمثال السّائرة مثلان يدخلان ضمن الإنشاء غير الطّلبيّ، ونحن لم نخصص بحثنا في الأسلوب الإنشائي لهذا النوع من الطلب، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء، وإنّما خصّصناه للإنشاء الطّلبيّ؛ بحكم أنّه المقصود بالبحث والدّراسة عند علماء المعاني، والمثلان هما:

يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذَّلَّة[1].

يا حَبَّذَا المُنتَعِلون قِياماً[2].

فـ(يا) في الجملتين حرف تنبيه أو أداة نداء لمنادى محذوف تقديره (قومُ)، و(حَبَّ): فعل ماض، (ذا): اسم إشارة في محل رفع فاعل لـ (حبَّ)، والجملة كلّها خبر مقدّم، و(التراثُ، المُنتَعِلون) مبتدأ مؤخّر، وعليه فهما من الإنشاء غير الطّلبيّ، الذي لا يستدعي مطلوبا، إلّا أنّه ينشئ أمرا مرغوبا في إنشائه، ويدخلان ضمن نوع من أنواعه، وهو: إنشاء المدح والذّم. والآن ندخل في أنماط الإنشاء ونبدأ بـ:

أ – الأمر

لقد ورد الأمر في أمثلة عديدة، وكان له الحظّ الأوفر في الأسلوب الإنشائيّ، كما ورد بأنماط مختلفة، منها ما بدأ بالأمر الصّريح، وبعده جملة استئنافيّة من ذلك:

لِجْ مَالِ ولَجْتَ الرَّجْمَ[3].

فَانْجُ وَلَا أَظُنُّكَ ناجِيًّا[4].

مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ[5].

---

1 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 111.

2 – المرجع نفسه، ص: 118.

3 – المرجع نفسه، ص: 57.

4 – المرجع نفسه، ص: 79.

5 – المرجع نفسه، ص: 118.

ففي الأوّل نجد الأمر في لفظ (لِجْ) والجملة المستأنفة في (ولَجْتَ الرَّجْمَ). وفي المثل الثّاني نجد الأمر في لفظ (فَانْجُ) والجملة المستأنفة في (وَلَا أَظُنُّكَ ناجِيًّا). وفي المثل الثاني نجد الأمر في لفظ (فَأَسْجِحْ) والجملة المستأنفة في (مَلَكْتَ).

والأمر في الحالة الأولى جاء على حقيقته من طلب تحقيق شيء ما، وهو تحقيق الدّخول، وفي الثّانية والثّالثة خرج عن دلالته الحقيقيّة إلى غرض آخر، ففي الحالة الثّانية يراد منه الإرشاد بطلب الفرار قصد النّجاة، وفي الثّالثة خرج إلى دلالة الالتماس بطلب الصّفح والعفو.

وفي مثل جاء الأمر باللّام، وهذا في قولهم: بِمِثْلِ جَارِيَة فَلْتَزْنِ الزَّانِيَة سِرًّا أَو عَلَانِيَةً[1]. فأصل المثل: فَلْتَزْنِ الزَّانِيَة بِمِثْلِ جَارِيَة سِرًّا أَو عَلَانِيَةً. فاللّام في (فلتزن) للأمر، والفاء تسمّى بالفصيحة لأنّها أفصحت عن الأمر، كما أنّها أفصحت عن المحذوفات قبلها، أي إن استمرت في زناها وإن أصرّ على فعله فلتزن بمثل جارية، وهو جارية بن سليط أفرشته امرأة نفسها افتنانا بجماله فلامتها أمّها ثمّ لمّا رأته قالت ذلك، يضرب فيما يلام فيه مباشرة للجهل به ثمّ يعذر إذا وقف على كيفيته[2]، واللّام لام الأمر وتزن فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة الجزم حذف الياء والفاعل مستتر تقديره هي.

وبعض الأمثال بدأت بالأمر الصّريح، واكتفت بجملة الأمر، من ذلك قولهم:

تَحَلَّلْ غَيْلُ[3].

اتَّقِ مَأْثُورَ القَوْلِ بَعْدَ الْيَوْم[4].

---

1 – المرجع السابق، ص: 70.

2 – الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/ 15.

3 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 80 .

4 – المرجع نفسه، ص: 96 .

أَصْبِحْ لَيْلُ[1].

خُذْ منْ جِذْعٍ مَا أعْطَاكَ[2].

فالأمر في هذه الأمثال تمثّل في: (تَحَلَّلْ، اتَّقِ، أَصْبِحْ، خُذْ). ففي المثل الأوّل خرج الأمر عن دلالته إلى التّهكم والإهانة، وفي الثّاني والرّابع إلى الإرشاد، وفي الثّالث إلى الاستبطاء.

وبعض الأمثال بدأت بالأمر الصّريح، ثمّ اشتملت على جواب الأمر، من ذلك:

الْبَسْ لكلِّ حَالَةٍ لَبُوسَها ... إِمَّا نعيمَهَا وإما بُوسَهَا[3].

أُسْقِ أَخَاكَ النَّمَرِيَّ يَصْطَبِح[4].

عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً[5].

فالأمر في هذه الأمثال تمثل في: (الْبَسْ، أُسْقِ، عِشْ). وجواب الأمر في (إِمَّا نعيمَهَا وإما بُوسَهَا، يَصْطَبِح، تَرَ عَجَباً). ففي المثل الأوّل خرج الأمر عن دلالته إلى الإرشاد، وفي الحالة الثّانية على حقيقته في طلب السّقي، وفي الحالة الثّالثة إلى التّعجيب.

ب – النّهيّ

وفي النّهيّ لم يرد من الأمثال السّائرة في مدونة الضّبّيّ إلاّ مثلا واحدا، هو قولهم:

لاَ تُرَاهِنْ عَلَى الصَّعْبَةِ وَلاَ تَنْشِدِ القَرِيضاً[6].

الصّعبة هي الدَّابَّة والنّاقة التي لم ترض[7]، فلا تغامر فتسابق عليها، والقريض

1 – المرجع السابق، ص: 123.

2 – المرجع نفسه، ص: 126.

3 – المرجع نفسه، ص: 111.

4 – المرجع نفسه، ص: 139.

5 – المرجع نفسه، ص: 140.

6 – المرجع نفسه، ص: 141.

7 – الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/ 254.

الشّعر[1] ، فلا تنشده. والمثل وصيّة للحطيئة حين حضره الموت، وطلب منه الحضور أن يوصي، والغرض منه التّحذير[2] من الشّيء الذي يُخاف منه[3]. بمعنى: «لا تبالغ في الخطر إذا خاطرت، فربّما غلبت، ولا تثق كلّ الثّقة فتخلف»[4].

ج - الاستفهام

الاستفهام كذلك من الإجراءات الأسلوبيّة الإنشائيّة في الأمثال، وتسهم في عملية التواصل بين الملقي والمتلقّي، ولها تأثيراتها التي تتيح للمتلقّي التّوسع في استنتاج الدّلالة، كما تتيح للملقي التّوسع في استغلال الإمكانات المتاحة في الاستفهام بين الأصل والخروج عليه، وعندما نرجع للمثل السّائر من خلال كتاب الضّبّيّ، نلحظ أنّ بعض الأمثال تصدّرت بالاستفهام، والبعض الآخر وإن كان قليلا فقد تضمّنه داخل البنية التّركيبيّة للمثل، ومنها ما نراه تأخّر عن الصّدارة مع أنّ حقّ الصّدارة عندما نُرْجِع المثل لأصله، كما نرى التّنوّع في أدوات الاستفهام بين (الهمزة، وهل، وكيف، وما)، ومنها ما تلاه الاسم ومنها ما تلاه الفعل، وفي بعضها يكون المثل ثنائيّ التّركيب؛ بحيث يرتكز أحدهما على الآخر، وتكتمل الدّلالة بين الشّطرين، وفي بعضها تركيب واحد، وهكذا تنوّع الاستفهام في المثل السّائر.

فما جاء من الأمثال بالهمزة، قولهم:

أَسَعْدٌ أَمْ سُعَيْدٌ[5].

أَعَرْكَتَيْنِ بالضَفِير[6].

---

1 - ابن فارس: مجمل اللغة، ص: 748.

2 -الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 223. وأبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 405.

3 - ينظر - الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/ 254.

4 - الهاشمي: الأمثال، 1/ 280.

5 - الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 47.

6 - المرجع نفسه، ص: 56.

أَضُراطاً وأَنتَ الْأَعْلَى[1].

أَضَرَطا آخِرَ الْيَوْم وَقَدْ زَالَ الظّهْر[2].

ففي المثل الأوّل خرج الاستفهام على حقيقته بغرض الاستخبار عن الأمرين أيّهما وقع[3].

وفي المثل الثّاني بغرض الإنكار، وفي الثّالث بغرض التّعجب، كما يمكن أن يكون للتّهكم والسّخرية، وفي الرّابع خرج للتّهويل والتّخويف.

وما جاء من الأمثال بـ(هل)، قولهم:

يَا مُعاوِيَ بن سِنانٍ هَلْ أوفَيْتَ[4].

تِلْكَ بِتْلْكَ فَهَلْ جَزَيْتُكَ[5].

هَل تَعدونَ الْحِيلَة إِلَى نَفْسِي[6].

ففي المثل الأوّل لم يتصدّر الاستفهام المثل، وتقدّم عليه النّداء، وذلك لأنّ الاستفهام لا يراد منه الحقيقة؛ بل خرج على أصله بغرض الاستنجاد، لذا قُدِّم المنادى لأنّه هو المقصود.

ومثله المثل الثّاني لم يتصدّر الاستفهام المثل، وتقدّم عليه اسم الإشارة، وذلك لأنّ الاستفهام لا يراد منه الحقيقة؛ بل خرج على أصله بغرض التّقرير، تقول أماني سليمان داود: «وفي هذا المثل أيضا لا ينتظر من إيراد الاستفهام ردّا من المخَاطب بالإيجاب أو السّلب، بل ينحو منحى بلاغيّا، يفيد به دلالة التّقرير، ويؤكّد ذلك

---

1 – المرجع السابق، ص: 62.

2 – المرجع نفسه، ص: 159.

3 – ينظر– الميداني: مجمع الأمثال، 1/ 329.

4 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 59.

5 – المرجع نفسه، ص: 77.

6 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 114.

الصّيغة التي ابتدأ بها المثل (هذه بتلك)[1]، إذ هناك شيآن حدثا كان الثّاني منهما بمثابة المقابل والرّدّ على الأوّل، ولم يكن ليكون لولا التّقدّم بالحديث الأوّل، فيأتي الاستفهام من صاحب الحديث الثّاني بوصفه محاولة ردّ اعتبار وهيبة كانت هدرت لسبب ما، فكأنّه يقول: ها قد جزيتك، ولم يعد لك عليّ شيء، فقد تساوينا»[2].

وعندما ننظر في المثل الثّالث نجد الاستفهام قد تصدّر المثل، وخرج عن أصله بغرض الإنكار.

وما جاء من الأمثال بـ(كيف)، قولهم:

كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأَسِكَ[3].

المثل انقسم على شطرين، الأوّل يحمل الاستفهام، (كيف أعاودك) والشّطر الثّاني، (وهذا أثر فأسك)، بغرض الاستغراب والإنكار، لأنّ المثل «يضرب لمن لا يَفِي بالعهد»[4].

تقول أماني سليمان داود: «هذا المثل يأتي المثل مكتنزا بدلالات متداخلة لا يمكن قصرها على معنى بلاغيّ واحد، إذ ثمّة ضلال إيحائيّة متداخلة تكشف عن نفسيّة مرسل المثل، فهو ليس تساؤلا عن الحال أو الكيفيّة التي قد تتيح لمرسل المثل أن يعاود فيها المخاطب، بل يحمل المثل قدرا من الاستغراب والاستنكار والتّعجب من فكرة المعاودة، ونجد إلى جوارها قدرا من الزّجر والتّوبيخ والتّبكيت للمتلقّي، إذ كيف يطلب الطّرف الآخر مزيدا من الفرص، وأثر اعتدائه باد، يشهد بنقضه للعهد أو الميثاق. ومع أنّ قصّة المثل مرتبطة بميثاق بين حيّة ورجل، وبقصّة قديمة أوردت في صيغة شعريّة منسوبة إلى النّابغة الذّبيانيّ: إلّا أنّ المثل وقصّته يصلحان

1 – في مثلنا عند الضّبّيّ (تلك بتلك).

2 – أماني سليمان: الأمثال العربية القديمة، ص:124.

3 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 178.

4 – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 146.

لكلّ حالة فيها ميثاق بين طرفين. فالمثل يحاول عبر طاقته الإيحائيّة التّذكير بضرورة الحفاظ على الميثاق وعدم التّفكير في اختراقه أو تجاوزه، فالطّرف الخاسر هو مَنْ يُخِلُّ بالميثاق. ويعطي الاستفهام ظلالا غنيّة محمّلة بالاستغراب من خلال إبراز المفارقة بين طلب المعاودة (استمرار الميثاق) ووضوح الإخلال بها، فهما لا يجتمعان»[1].

وما جاء من الأمثال بـ(ما)، قولهم:

في نَظْمِ سَيْفِكَ ما تَرَى يَا لُقْمُ!؟[2].

وأصلها: يَا لُقْمُ ما تَرَى في نَظْمِ سَيْفِكَ!. أو: ما تَرَى يَا لُقْمُ في نَظْمِ سَيْفِكَ؟. فإن أريد النّداء قُدِّمَت الأولى، وإن كان المراد الاستفهام قُدِّمَت الثّانية، ونرى في المثل أنّ الاستفهام قد تأخّر، لأنّه لا يراد منه الجواب؛ بل يراد منه التّعجب والاستغراب.

د – النّداء

وأمّا فيما يتعلّق بالنّداء فلم يرد فيه الكثير من الأمثال، وإن كان أكثر من النّهيّ والتّمنّي، وقد جاء بعضه مذكورة فيه أداة النّداء، وبعضه الآخر محذوفة منه، فأمّا ما ذكر فيه النّداء، ففي قولهم:

يَا مُعاوِيَ بن سِنانِ هَلْ أوفَيْتَ[3].

يَا ضُلَّ ما تَجْرِي بِهِ العَصَا[4].

في نَظْمِ سَيْفِكَ ما تَرَى يَا لُقْمُ[5].

يَا بُوْيْن مَا أَكْيَسَنِي[6].

---

1 – أماني سليمان: الأمثال العربية القديمة، ص:123.

2 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 155.

3 – المرجع نفسه، ص: 59.

4 – المرجع نفسه، ص: 155.

5 – المرجع نفسه، ص: 145.

6 – المرجع نفسه، ص: 171.

ففي المثل الأوّل نرى أنّ فيه شطر ثانّ يتمثّل في جملة الاستفهام (هَلْ أوفَيْتَ)، بها يكتمل به معنى المثل في المحاورة، التي غرضها الاستغاثة والاستنجاد.

وفي المثل الثّاني نلحظ بأنّ المنادى في قوله "يا" محذوف، والتّقدير: يا قوم ضُلَّ[1]. ومثله ما جاء في المثلين: يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذَّلَّة[2]. يا حَبَّذَا المُنتَعِلون قِياماً[3]. فالمنادى في كليهما محذوف على تقدير (يا قوم).

وعلى كلّ حال فالمثل كما يرى أبو هلال العسكريّ يضْرب مثلا للْجدّ[4]، ويرى الزّمخشريّ أنّه يضْرب في توقّع الشَّرّ[5]، وعلى ما ذهب إليه ومن خلال حكاية المثل فإنّ الغرض من النّداء؛ التّعجّب والتّفجّع، وعليه فمعنى المثل: يا قوم ما أضَلَّ – أي ما أهْلَكَ – ما تجرى به العصا، يريد هلاَك جَذِيمة[6].

وفي المثل الثّالث خرج النّداء عن أصل ذلك، فكان الغرض منه التّعجّب، لأنّ في حالة التّعجب أو اليأس وانقطاع الرّجاء وفي التّأسف؛ يستعمل النّداء برفع الصّوت تلقائيّا تعبيرا عمّا في النّفس من حالة التّعجّب المثيرة أو حالة التّأسف اليائسة.

وفي المثل الرّابع كان الغرض منه إظهار المكر والدّهاء والكياسة.

وفي بعضها لا نرى أداة النّداء، فبقي المنادى وحذفت الأداة، كقولهم:

أَصْبِحْ لَيْلُ[7]. فنلحظ في هذا المثل أنّه قد حذفت ياء النّداء من النّكرة المقصودة، وأصله: أصبح يا ليل.

---

1 – ينظر – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 411.

2 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 111.

3 – المرجع نفسه، ص: 118.

4 – ينظر – أبي هلال العسكري: جمهرة الأمثال، 2/ 428.

5 – ينظر – الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، 2/ 406.

6 – ينظر – الميداني: مجمع الأمثال، 2/ 412.

7 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 123.

وقولهم: بِيَدِي لَا بِيَدَيْكَ عَمْرو[1]. وأصله: بيدي لا بيديك يا عمرو

وقولهم: اقْلِبْ قَلاَبِ.[2] وأصله: اقلب يا اقلّاب.

فحذف أداة النّداء له دلالة في النّفس، وهي أنّ المنادى أقرب منازل القرب من المنادي، حتّى لم يحتج إلى ذكر أداة نداء له لشدّة قربه، وعلى العموم فالنّداء خرج عن أصله، فلا طلب فيه لإجابة النّداء، أو استثارة المنادى ودفعه للاستجابة والانفعال مع النّداء، ولكن يحمل النّداء شحنات نفسيّة لدى المتلقّي تعكس انفعالاته ووجدانه ومشاعره.

وهذا الخروج المنبعث من الحالة النّفسيّة للمتكلّم نجده في المثل التّالي: يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذلَّة[3]. فهذا النّداء لا يتطلّب إجابة بقدر ما يحمل شحنات نفسيّة تنمّ عن مدى التّحسر والتوتّر والاستنكار الدّاخلي، والشّيء نفسه في قوله: يا حَبَّذَا المُنتَعِلون قِياماً[4]. فيه من التّشكّي والحزن والخيبة والتّعب والعتب؛ وفي كلا المثلين دخل حرف النّداء على صيغة (حَبَّذَا) وبالتّالي خرج عن أصله.

ه – التّمنّي

في قولهم: ذُلٌّ لَوْ أَجِدُ نَاصِراً[5]. ففي المثل نرى استعمال حرف (لو) في التّمنّي، وذلك لإبراز الشّيء المتمنّى في صورة الممكن؛ وهي حالة نفسيّة داخليّة يأمل في تحقيقها، لئلّا يعيش في اليأس الكامل، إلّا أنّه أمر عزيز المنال يصعب تحقيقه، ولكن لدى صاحب التّمنّي بعض أمل، رغم ضعف الاستجابة، لأنّ حرف (لو) يشعر بعزّة الأمر المرجو.

---

1 – المرجع السابق، ص: 147.

2 – المرجع نفسه، ص: 168.

3 – الضّبّيّ: أمثال العرب، ص: 111.

4 – المرجع نفسه، ص: 118.

5 – المرجع نفسه، ص: 118.

وفي ختام هذا العنصر يمكن القول بأنّ معظم الصّيغ الأسلوبيّة البلاغيّة المثليّة المختلفة، التي رأيناها في المثل السّائر تقف وراءها أسباب ودوافع نفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة تابعة لبيئات لغويّة مختلفة، طبعت المثل العربيّ بطابع أسلوبيّ يختلف باختلاف طبيعة العلاقات والتّحولات الدّلالية النّاجمة عن التّغيّر في طبيعة هذه العلاقات. فكان النّصّ المثليّ بحقّ نشاطاً لغويّاً وحركة ثقافيّة لسانيّة للبيئات السّائدة يومها، ويمكن التّعرف من خلالها على سمات هذه البيئات، بغض النّظر عن كون هذه النّشاطات، قد مثّلت النّشاط الفردي أو الجماعي للمجتمع العربيّ؛ إذ إنّ الكثير من الصّيغ يبتدعها الفرد، ثمّ يتقبّلها المجتمع فتشيع بين النّاس، وتدخل في نطاق الاستعمال، لميزات ميّزت هذا الكلام عن غيره.

وفي الأخير نعطي ملخصا لهذا العنصر، فنقول:

– لقد تمّت دراسة أسلوب المثل العربيّ السّائر مثله مثل المثل القرآنيّ، فقد قُسِّم البحث فيه إلى ثلاثة عناصر، أوّلها التّعريف بالمثل السّائر، وثانيها دراسة الأسلوب الإخباريّ للمثل، وثالثها دراسة الأسلوب الإنشائيّ للمثل، وقد تمحورت دراسة الأسلوب الإخباريّ على أهمّ العناصر التي يمكن أن تحظى بالعناية والاهتمام، فتناولنا فيه دراسة الجملة الفعليّة ثمّ الجملة الاسميّة وما يتعلّق بها من مؤكّدات، ثمّ تمّ التّطرق لجملة الشّرط، وأمّا في الأسلوب الإنشائيّ فقد تمّ التّعرّض للإنشاء الطّلبيّ المتمثّل في الأمر والنّهيّ والاستفهام والنّداء والتّمنّي.

– الأسلوب الإخباريّ طغى على المثل السّائر، وقد ورد بجمل كثيرة فعليّة وأخرى اسميّة خالية من المؤكّدات، ومنها ما ورد بالمؤكّدات، وتنوّعت فيه أنواع التّأكيدات من مؤكّد لأكثر، وبأدوات التّأكيد المختلفة: قد، لا، أن، إن، اللّام، القسم، نون التّوكيد الثّقيلة والخفيفة، إنّما، ما، ألا، والسّين، كلّ، والنّفي والشّرط، والتّوكيد اللّفظيّ، والتّوكيد المعنويّ، وهذا ينسجم تماما مع سيرورتها وبنيتها

ودلالتها وتنوّع أغراضها.

– كما أنّه وقع تقديم وتأخير وحذف في العديد من الجمل الإخباريّة، وبعضها بدأ بالزّوائد التي لا محلّ لها من الإعراب كـ(ربّ)، وقد كان للشّرط حضوره المعتبر في الأمثال السّائرة، ما يجعلها ظاهرة أسلوبيّة تحتاج لوقفة متميّزة ومستقلّة عن باقي الأنواع.

– أما الأسلوب الإنشائيّ فهو أقلّ ورودا من الأسلوب الإخباريّ في المثل السّائر، وقد ورد فيه جميع أنماط الإنشاء؛ من الأمر والنّهيّ والاستفهام والنّداء والتّمنّي، وبعضها أكثر ورودا من بعض، فأكثرها الأمر، ويليه الاستفهام، ثمّ بعدهما النّداء، وأقلّها النّهيّ والتّمنّي، وفي أغلب أنماطها قد خرجت عن أصلها لأغراض أخرى، كالإنكار، والتّعب، والتّعجيب، والاستغراب، والتّحذير، والتّهويل، والتّخويف، والاستنجاد، والتّقرير، والإرشاد، والتّهكم، والالتماس، والاستخبار، والتّوبيخ والتّبكيت... .

– معظم الصّيغ الأسلوبيّة المثليّة المختلفة، التي رأيناها في المثل السّائر تقف وراءها أسباب ودوافع نفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة تابعة لبيئات لغويّة مختلفة، طبعت المثل العربي بطابع أسلوبيّ يختلف باختلاف طبيعة العلاقات والتّحوّلات الدّلاليّة النّاجمة عن التّغير في طبيعة هذه العلاقات.

– النّصّ المثليّ يعتبر نشاطاً لغويّاً وحركة ثقافيّة لسانيّة للبيئات السّائدة يومها، ويمكن التّعرّف من خلالها على سمات هذه البيئات، بغض النّظر عن كون هذه النّشاطات، قد مثّلت النّشاط الفردي أو الجماعي للمجتمع العربيّ؛ إذ الكثير من الصّيغ يبتدعها الفرد، ثم يرتضيها المجتمع فتشيع بين النّاس وتنتشر بينهم وتصير في محلّ المتواضع عليه، وتدخل في نطاق الاستعمال اللّغويّ.

الخاتمة

وفي خاتمة البحث نعطي ملخّصا يجمل كيفيّة تناول تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثلين القرآنيّين؛ الظّاهر والكامن، وتناول المثل العربيّ السّائر، فبعد التّعريفات قُسِّم الكتاب إلى ثلاثة أقسام في دراستها، في القسم الأوّل تمّ التّطرّق لأسلوب المثل الظّاهر في محورين اثنين، أوّلهما تعلّق بدراسة الأسلوب الإخباريّ، وثانيهما خُصِّص لدراسة الأسلوب الإنشائيّ، والقسم الثّاني تمّ التّطرّق فيه لأسلوب المثل الكامن، وفي القسم الثّالث تمّ التّطرّق لأسلوب المثل السّائر، وفي كليهما تعرّضنا لدراسة الأسلوب الإخباريّ والإنشائيّ.

ولقد تمحورت دراسة الأسلوب الإخباريّ على أهمّ العناصر التي يمكن أن تحظى بالعناية والاهتمام، فتناولنا فيه دراسة الجملة الفعليّة ثمّ الجملة الاسميّة وما يتعلّق بها من مؤكّدات، وتناولنا في المثل الظّاهر التّناوب بينهما، نظرا لتركيبة المثل المتكوّنة من العديد من الجمل، ثمّ تمّ التّطرّق للشّرط، ونفس الشّيء مع المثل الكامن والسّائر، إلّا أنّه تمّ التّطرّق للنّفي في عنصر مستقلّ، بدل تناوب الجمل، وهذا لقصرهما، وثانيا لأنّ النّفي يكاد يكون منعدما في الظّاهر مع وجوده فيهما، وأمّا في الأسلوب الإنشائيّ فقد تمّ التّعرّض للإنشاء الطّلبيّ المتمثّل في أهمّ العناصر المشكّلة له، والتي هي: الأمر والنّهيّ والاستفهام والنّداء والتّمنّي.

وللعلم فإنّه وإن لم نذكر كلّ الأمثال في الدّراسة لكثرتها فقد قمنا بعمليّة استقرائيّة لها جميعا واحدا واحدا، وما خلصنا له إنّما هو ثمرة هذا الاستقراء، لذا يمكن أن يستفاد من هذه المادّة في دراسات أخرى تكون لها بمثابة الأرضيّة التي ينطلق منها الباحث في دراسته.

في الأمثال الكامنة اعتمدنا على معنى المثل موازيّا لمعناه العربيّ وسياق وروده في القرآن الكريم وإن لم نشغل البحث بمساحة نذكر فيها معنى المثل العربيّ ومعناه في الكامن من القرآن الكريم – إلّا ما دعت إليه الحاجة – فقد آثرنا الاختصار على

الإطناب تيسيرا على القارئ ومراعاة لحجم الكتاب.

ونفس الشّيء في الأمثال العربيّة السّائرة فقد ركّزنا على معنى المثل كما هو في قصّته وموطن مضربه، وقد أشرنا لذلك في بعض المواضع وأغفلناه في أخرى حسب ما اقتضته الدّراسة، لكن في كلّ الأحوال كان معنى المثل حاضرا عند التّحليل والبيان.

ركّزت الدّراسة على الجانب البلاغيّ في كلّ جزئيّاتها لبيان كيفيّة التشكّل الأسلوبيّ للأساليب البلاغيّة، الخبريّة والإنشائيّة التي مثّلت بنية الأمثال المذكورة، ولم نتوسّع كثيرا في التّحليل الأسلوبيّ وقد أشرنا له بقدر الحاجة إليه لارتباطه بدلالات التّشكّل البلاغيّ لبنية المثل، ويمكن للباحث الأسلوبيّ أن يجعل من ذلك مادّة علميّة لبحثه الأسلوبيّ؛ سواء من حيث القيمة أو الظّواهر أو الإجراءات أو غيرها.

كما أنّ الدّراسة ركّزت على الأسلوب البلاغيّ؛ لأنّه عمدة المعنى في علم المعاني، ووفقه يركّب الكلام العربيّ، ولم تكن الدّراسة معنيّة بالمباحث والفنون البلاغيّة التي تكون بمثابة قوالب معياريّة يصبّ فيها المعنى وفق الألفاظ المختارة، كالمجاز والايجاز والاطناب والمساواة والتّقديم والتّأخير والذّكر والحذف والطّباق والجناس والسّجع والاستعارة والكناية والتّشبيه..، وغيرها من الفنون البلاغيّة التي تبعد المعنى عن التّعقيد والخطأ وتصوّره في صور شتّى، فكلّ ذلك لا يدخل ضمن هذه الدّراسة.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

- أحمد بن فارس(ت: 395هـ): مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة 2 - 1406هـ - 1986م

- أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي: أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة: الأولى، 1980م.

- أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ): من بلاغة القرآن، نهضة مصر - القاهرة ، عام النشر: 2005.

- أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال: المجتبى من مشكل إعراب القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: 1426ه

- أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم: إعراب القرآن الكريم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق،الطبعة: الأولى، 1425ه .

- أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي أبو العباس (ت: 1224هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419هـ.

- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ):الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ): معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م.

- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: روح البيان، دار إحياء

التراث العربي.

– بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أبو عبد الله (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ودار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م.

– بدر الدين حسن بن عليّ المرادي (ت: 749هـ): الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: 1، 1413 هـ - 1992م.

– جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، ابن هشام (ت: 761هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، 1985.

– حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث.

– الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: 370هـ): إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية (1360هـ -1941م).

– الحسين بن الفضل (ت : 282هـ): الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، تحقيق: الدكتور علي حسين البوّاب، مكتبة التوبة – الرياض، الطبعة الأولى سنة: 1412ه – 1992م.

– الراغب الأصفهانى أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف(ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412هـ.

– الزمخشري(ت: 538هـ): المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: 2، 1987م.

– زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ): روائع التفسير، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض

الله بن محمد، دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1422 – 2001م.

– شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

– ظاهر شوكت البياتي: أدوات الإعراب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1425هـ – 2005م.

– عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ): البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416هـ – 1996م.

– عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ): علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م.

– عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني أبو بكر (ت: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2001م.

– عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: 1426هـ–2005م (على الهامش).

– عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري أبو البقاء (المتوفى : 616هـ): التبيان في إعراب القرآن، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه .

– عبد الرحمن بن محمد الثعالبي أبو زيد (ت: 875هـ): الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: 1 – 1418هـ .

- عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي أبو بكر بن أبي شيبة، (ت: 235ه) : الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، 1409ه.

- عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390ه): التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة.

- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية، دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى – 1988.

- علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي أبو الحسن (ت: 468ه): التفسير الوسيط، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 ه - 1994م.

- علي زواري أحمد: المثل في الخطاب القرآني واللسان العربي الفصيح "مقاربة في البنية والأسلوب"، أطروحة قدمتها لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، تخصص البلاغة والأسلوبية، تحت إشراف، أ.د: أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، السنة الجامعية: 2019/2018.

- محمد توفيق، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت(د.ط).

- محمد أبو موسى: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، الطبعة: 7.

- مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420ه): مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421ه- 2000م.

- محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739ه): الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة.

- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري أبو عبد الله (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420ه.

- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى : 510هـ): معالم التنزيل، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ – 1997 م.

- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: 1403هـ): إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، 1415هـ.

- محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله أبو القاسم (ت : 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407هـ.

- محمود إسماعيل صيني وآخرون: معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1996.

- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة: 1984هـ .

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ): فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – 1414 هـ .

- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) – (1414 هـ = 1993 م).

- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): إعلام الموقعين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية –

بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.

- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين أبي عبد الله القرطبي (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة: 1984هـ.

- محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ): الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418هـ.

- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري أبو عبد الله (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.

- محمد المكي الناصري (ت: 1414هـ):التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م.

- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: 1403هـ): إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة : الرابعة ، 1415هـ.

- محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: 720هـ): اللمحة في شرح الملحة، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م.

- محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله أبو القاسم (ت : 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ.

- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: 1423هـ - 2002م.

- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ): زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

- محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي أبي الطيب (ت: 1307هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.

- محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: 672هـ): شرح التسهيل لابن مالك، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (1410هـ - 1990م).

- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.

- مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: 1364هـ): جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، 1414 هـ - 1993م.

- المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضّبّيّ (ت: نحو 168هـ): أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة 2، 1403هـ = 1983م.

- مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: 1364هـ): جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: 28، 1414هـ - 1993م.

- الميداني(ت: 518هـ): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان(د.ط).

- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418هـ .

- أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ): جمهرة الأمثال، دار الفكر – بيروت(د.ط.

- الهاشمي، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير (ت: بعد 400هـ): الأمثال، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: 1، 1423هـ .

- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

- اليوسي(ت: 1102هـ): زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق : د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة: 1 ، 1401هـ – 1981م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدّمة	5
أوّلا – مدخل تعريفيّ بالأمثال	7
1 – المثل في اللّغة والاصطلاح	9
أ – المثل في اللّغة	11
ب – المثل في الاصطلاح	17
2 – أنواع المثل القرآنيّ	23
توطئة	23
أ – تقسيمها إلى نوعين	25
ب – تقسيمها إلى ثلاثة أنواع	26
3 – أنواع المثل العربيّ	31
توطئة	31
أ – المثل السّائر	32
ب – المثل القياسيّ	33
ج – المثل الخرافي	34

ثانيّا – التّعريف بالأساليب البلاغيّة	35
توطئة	37
1– الأسلوب الإخباريّ	38
2 – الأسلوب الإنشائيّ	42
ثالثا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل القرآنيّ الظّاهر	47
توطئة	49
1 – الأسلوب الإخباريّ	53
أ – الجمل الفعليّة	53
ب – الجمل الاسميّة	55
ج – التّناوب بين الجمل	59
د – الشّرط	65
2 – الأسلوب الإنشائيّ	70
أ – الأمر	70
ب – النّهيّ	72
ج – الاستفهام	73
د – النّداء	77
ه – التّمنّي	81

رابعا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل القرآنيّ الكامن	83
توطئة	85
1 – الأسلوب الإخباريّ	90
أ – الجمل الفعليّة	90
ب – الجمل الاسميّة	99
ج – النّفي	104
د – الشّرط	108
2 – الأسلوب الإنشائيّ	114
أ – الأمر	115
ب – النّهيّ	117
ج – الاستفهام	120
د – النّداء	125
خامسا – تشكّل الأسلوب البلاغيّ للمثل العربيّ السّائر	129
توطئة	131
1 – الأسلوب الإخباريّ	135
أ – الجمل الفعليّة	135
ب – الجمل الاسميّة	142
ج – النّفي	148

د – الشّرط	151
2 – الأسلوب الإنشائيّ	157
أ – الأمر	158
ب – النّهيّ	160
ج – الاستفهام	161
د – النّداء	164
ه – التّمنّي	166
الخاتمة	169
قائمة المصادر والمراجع	171
فهرس الموضوعات	179